

١٠٩٥



دار م. المغرب

1095



HARLEQUIN

كبيرة

سائق الشاحنة الطيب

غيتا كينغزلي



www.elromancia.com

مرمورية



سائق الشاحنة الطيب

غيثا كينغزلي

كان لسائق الشاحنة ماثيو ماغنوم تأثير سيء على شقيق مارغريت براونينغ ، فقد كان من النوع الذي يعشق الحرية ما يشكل مثلاً أعلى لكل فتى، وأخر ما كان مارغريت تريده هو أن يملأ ذهن الغلام بقصص المغامرات عن قيادة شاحنة بثمانية عشر عجلة، فقد كانت هي المسؤولة عن تيمي وهي التي تعرف ما هو الأفضل له.

وفوجيء ماثيو ماغنوم بغضب مارغريت لاستخدام شقيقها لعمل صيفي، وتساءل عما يجعلها تكره حرية العمل في الطرقات؟

كيف بإمكان مارغريت أن تعترف بأن هذا الرجل البالغ الوسامة قد ترك في نفسها كل ذلك التأثير؟ ربما حان الوقت لكي تغامر بالحقاق بـماثيو في رحلة تؤدي إلى الحب...

لقد حان الوقت الذي يجعلك تهتمين بنفسك)

كان صوت ماتيو بالغ الرقة وهو يتحدث إلى مارغريت: «ان بإمكان تيمي رعاية نفسه، وبإمكانه ان يقرر لنفسه الأصلح.»

قالت ثائرة: «انني لم احضر إلى هنا لتلقّي محاضرة في ما يجب أن تكون عليه طريقة حياتي.»

«لا تجعلي من تيمي عذراً لتتجنبي الحياة، يا مارغريت، ان في الحياة اكثر من مجرد مراقبة شقيقك.»

فقالت بصوت منخفض: «انني اعلم تماماً ما وراء هذا كله، فأنت لا تصدق رفضي الانضمام إلى نادي المعجبين بماثيو ماغنوم. حسناً، دعني اخبرك يا سيد ماغنوم، انه مهما طالّت مدة وجودك في البلدة، فإن موقفني منك لن يتغير.»

غيتا كينغزلي

غيتا كينغزلي معلمة سابقة في مدرسة ابتدائية، تعشق الأسفار والموسيقى واشغال الإبرة والعناية بالحدائق، نشأت في أسرة كبيرة، لا تشعر بالوحدة مطلقاً ما دام لديها كتب تقرأها، وهي تعيش الآن في جنوب كاليفورنيا مع زوجها وولدين مراهقين. أول رواية لها كانت ايمان وأمل وحب. وقد نالت الجائزة في مسابقة، (مؤلفو الروايات العاطفية الأميركيون).

تثق ريتا بانتصار الروح الانسانية مع اهتمامها بالبيئة، وهذا ينعكس في صفاتها وقصصها.

١٠٩٥

عبيير

Abir 1095

سائق الشاحنة الطيب
غيتا كينغزلي



دار
مؤسسة النحاس
للطبوع و النشر و التوزيع

انتبه ألا تبتاع هذه الرواية من غير غلاف لأنها قد تكون مسروقة. فيجب إبلاغ الناشرين لأن الكتاب الذي لم يبيع، يجب إتلافه، فأى من الكاتبة أو الناشرين لم يتقاضوا ثمناً لهذه النسخة المسروقة.

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية:

TENDER TRUCKER

Copyright © by Geeta Kingsley 1992

ISBN 0-373-08894-9

Mills & Boon first edition October 1992

عنوان الطبعة العربية الأولى عن دار م. النحاس

سائق الشاحنة الطيب بقلم المؤلفة غيتا كينغزلي

ترجمة: بلقيس حوماني

سلسلة عبير ١٠٩٥



حقوق النشر باللغة العربية محفوظة ومحصورة في جميع البلدان لدار م. النحاس لتوزيع الصحف والمطبوعات - بيروت (دار م. النحاس) بترخيص من هارلكوين انتربرايزس ليميتد (Harlequin Enterprises Limited).

جميع الحقوق محفوظة. باستثناء استعماله في أي مرجعية، يمنع استنساخ هذا الكتاب أو استعماله كلياً أو جزئياً بأي شكل وبأي جهاز من الأجهزة الالكترونية أو الميكانيكية أو الوسائل الأخرى، المعروفة الآن أو التي يتم في ما بعد اختراعها، بما في ذلك الوسائل الجغرافية والتصوير والتسجيل أو تخزين أي معلومات منها أو استعادتها بأي جهاز من الأجهزة، من دون الحصول على إذن من الناشر. كل شخصيات هذا الكتاب ليس لها وجود خارج خيال الكاتبة، وليس لها أية علاقة بأي شخص قد يصدف ويتشابه اسمه مع أحد الأسماء في الكتاب ولا تستند شخصيات الكتاب، أو الأسماء التي تحملها إلى أية شخصية تعرفها، أو لا تعرفها الكاتبة، بل كل أحداث الرواية هي من نسج الخيال المصنف.

العنوان: دار م. النحاس لتوزيع الصحف والمطبوعات - بيروت، لبنان شارع لردان نهاية رضوان الطابق التاسع: ص.ب: ١١/١٧١٨ - فاكس: ٧١٣٦٣١ (٠١) - هاتف: ٧١٣٦٣٣ - ٧١٣٦٣٤ (٠١) - ٢١١٢٩٣ (٠٣)

عزيزي القارئ

يسعدنا أن نعيد إليك سلسلة عبير التي طال غيابها عن ساحتك الممتعة، وهي إذ تطل عليك من جديد بحلتها الكاملة لتضفي بروقتها المميز شغفك للقراءة وحبك للمطالعة.

ونحن، إذ نعيد اليوم هذه السلسلة الى مسرحها السابق، نعدك بانتظام اصداراتنا من عبير بمعدل ٥ روايات شهرياً لتكون سلوكك في أوقات متعتك الخاصة.

كما نعدك ببذل الجهد المتواصل من أجل إطلاعك دائماً باللغة العربية على أحدث ما يصدر في هذه السلسلة العالمية وعن لغة الأصل: الانكليزية.

إن رفع وتيرة الاصدار والزيادة في تنوع المواضيع وألوانها إنما هما هاجسنا الدائم.

ولا تنس يا عزيزي القارئ، أن طبعة عبير هذه التي أردناها لائقة بك وبذوقك، إنما هي النسخة الأصلية.

وقوفك إلى جانبنا، إنما يعبر عن اخلاصك لنفسك وذوقك وحرصاً على وقتك الذي نوظفه لك في مجال أدبي ثقافي، مفيد وممتع.

إن وقوفك معنا يوفر لنا الدعم والمناخ اللذين لا بد منهما للمضي قدماً في رحلة العطاء الدائم والتجدد والتنويع...

الناشر

الفصل الأول

حدّقت مارغريت براونينغ طويلاً إلى تلك الأحرف الزرقاء المكتوبة على اللوحة البيضاء، شاعرة بأن أسوأ كوابيسها قد تحقق. (شحن بدوين).

وأعلى منها كانت لوحة أخرى تقوم على عمود عال يجعلها مرئية من كل شخص من مختلف الاتجاهات ومكتوباً عليها، (موقف الشاحنات).

أغمضت مارغريت عينيها متمنية لو يتلاشى كل هذا، وعندما عادت ففتحتهما بعد ثانية وجدت كل شيء مازال في مكانه، حولت نظرتها إلى ذلك المبنى الضخم المشيد من القرميد والزجاج والذي احتل مكان كاراج سيمي القديم المتداعي، كان (موقف الشاحنات) العصري البناء هذا يبدو في غير مكانه في منطقة إنشواتر، كاليفورنيا، هذه حيث صفة الجديد كانت تطلق على الأشياء التي عمرها عشر سنوات، وعلى كل بناء له ناحية من معدن الألمنيوم القوي.

«لماذا هنا؟» ولم تنتبه إلى انها تلفظت بهذه الكلمات بصوت عال.

فأجاب مرافقها في السيارة: «ولماذا لا؟ لقد قال ماغنوم انه يريد التوسع، والأرض في لوس انجلس مرتفعة الثمن، هذا إلى انه يريد مكاناً يقع بين لاس فيغاس ولوس انجلس، على الطرق التي اعتاد السائقون التردد عليها

بكثرة، وهكذا اختار إنشواتر لتلك الاسباب كلها، هذا بالإضافة إلى عدم اعتراض احد على وجودها هنا.»
لا احد ما عداها هي، وهي لم تكن هنا لكي تصوت محتجة، فقد كانت فكرة ان شقيقتها يتعامل مع موقف الشاحنات هذا، هذه الفكرة قد أفزعته.

تساءلت قائلة: «لا أدري ما الذي يفعله تيمي هنا.»
ثم التفتت إلى جو غرينز، كان هذا زميلها في المدرسة الثانوية وقد احضرها من أقرب مطار إلى إنشواتر والتي تبعد اكثر من سبعين ميلاً، وإن كان مشغولاً بتشغيل راديو السيارة، لم يبد عليه أنه سمع سؤالها، وإن كانت متلهفة لرؤية شقيقتها، طلبت من جو ان يتوقف عند محل دانز دوناتز قبل التوجه إلى المطعم، فقد كان تيمي يعمل في محل دانز هذا منذ شهر كانون الأول (ديسمبر)، وقد تملكها الدهشة، عندما اخبرها دانز بأنها ستجد شقيقتها في موقف الشاحنات.
حسناً انها هنا الآن، ولكنها لا ترى أثراً لتيمي، وهذا يعني ان عليها ان تدخل الموقف لتسأل عنه.

ابتسمت قائلة: «اشكرك لتوصيلي يا جو.»
فسألتها: «هل انت واثقة من انك لا تريدني ان انتظرك لأوصلك إلى منزلك.»

«كلا، فأنا بحاجة إلى ان أتمشى.»
وعندما ترجلت من السيارة، قال لها جو: «إلى اللقاء إذن سأنزل حقائبك عند جانبك.»

أجابت: «إلى اللقاء، واكرر لك شكري لاستقبالي في المطار.»

«إلى اللقاء يا مارغريت.» ما ان ابتعدت السيارة، حتى

تنفست مارغريت بعمق، ثم استدارت نحو موقف الشاحنات. لقد ذكرها وجودها هنا بوالدها وعمله الذي كان يقوم به، ذلك ان قيادته للشاحنة كانت هي التي قتلته ووالدها معاً، اختطفتهما منها ومن شقيقتها تيمي.

بالنسبة لمواقف الشاحنات، كان هذا الموقف هو أحسن ما رأته منها في حياتها، فالمائة قدم من التراب التي كانت تفصل كاراج سيمي عن الطريق الرئيسي، قدمهد الآن وورصف بالأسفلت الصلب، وكانت الشاحنات تحيط بها من كل جانب ومن كل الأنواع والأحجام، وقد كنت بانتظام. وكان معظمها ذا لونين أزرق وفضي، وكانت مضخات الديزل مصطفة إلى جانب من الساحة، وعلى بعد خمسين ياردة من المدخل، كان يقوم المكتب والذي كانت جدرانها الأربعة من الزجاج، وفي المؤخرة كان يقوم المبنى القرميدي الضخم الذي لاحظته في البداية والذي كان كاراج لتصليح الشاحنات.

توجهت مارغريت نحو المكتب، ربما ستجد فيه من يخبرها عن مكان شقيقتها.

اكتسحتها، وهي تنظر حولها، احساس جمة جعلتها تتوقف عن السير وهي تتنفس بعمق، فقد كان للجو هنا تأثير غريب عليها، نداءات السائقين، هدير المحركات، روائح الديزل والزيوت. النساء والرجال الذين يتحركون هنا وهناك، كل ذلك ايقظ في نفسها ذكريات كانت حرصت على طمرها في الأعماق منها.

(بابا)...

كانت هذه صرخة تفجّع من صغيرة سلبها الموت حب والديها.

ورفعت مارغريت يدها إلى فمها ترد صرخة وصورة أخرى تتمثل أمامها.

(انظر، يا بابا، باستطاعتي ان اسوق شاحنتك.)

كانت هذه إحدى اقدم ذكرياتها، كانت فيها تجلس في حضن والدها والذي سمح لها بأن تدير عجلة القيادة، كانت الرائحة هي نفسها، الديزل والزيت، ثم اصبحت لا تطاق بعد ان امتزجت برائحة عطر والدتها، لقد وضع والدها، عند ذلك قبلة على قمة رأسها وهو يقول: «انك سائقة شاحنة قديرة يا حبيبتي.»

واستدار رجل ضخم قوي البنية إلى حيث أخذ يلوح بيده إلى شخص ما في الساحة، وقفزت صورة أخرى إلى ذهنها، لقد اعتاد والدها يوماً أن يستدير ليلوح بيده لشخص ما، كما يفعل هذا الرجل الآن، وذلك قبل ان يصعد إلى شاحنته.

«كوني فتاة مطيعة لعمتك جانيت، يا مارغريت، وسنحضر اليك عندما نعود مفاجأة حلوة.»

وصعد الآن زوجان إلى شاحنتهما الجاهزة، وكانا بالنسبة إلى خيال مارغريت المعذب، والديها نفسيهما على وشك القيام برحلة أخرى، (ماما، بابا، لا تذهبا.)

شعرت بأن عليها ان تمنعهما، فقد كانت هذه آخر رحلة لهما، كانت الرحلة التي لم يعد والدها منها.

اخذ ماثيو يراقب من خلال جدار المكتب الزجاجي، توجه المرأة تلك نحوه، كان شعرها الأحمر المتألق يجعلها تبدو كمشعل في رأسه نار، أما قوامها فكان رشيقياً، وكانت ترتدي بذلة أنيقة وحذاء عالي الكعب.

ضاقت عيناه إذ اقتربت فلاحظ ما بدا على وجهها من

رعب وهي ترفع يدها إلى فمها، ما الذي حدث؟ وقفز بشكل سريع نحو الباب وهو يراها تنزل عن الرصيف إلى وسط الساحة.

«انتبهي.» ووصلت هذه الصرخة إلى انني مارغريت في نفس اللحظة التي شعرت فيها بنفسها ترتفع في الجو ثم تنزل على الأرض، وأعادها هدير الشاحنة إلى الحاضر، مرسلأ في كيانها الارتجاج والبرودة.

«هل تحاولين قتل نفسك؟»

كانت يدان كبيرتان تحيطان بخصرها، بينما كان هو ينتظر منها الجواب. فقالت وهي تطرف بجفنيها بسرعة، رافعة رأسها لتتنظر إلى الشخص الذي أمسك بها، ولم تسمح لها أشعة الشمس التي أمامها ان ترى منه شيئاً سوى انه كان كبير الجسم للغاية.

كان قد رفع يديه عن خصرها فاستدارت ببطء لترى عينين تنظران إليها بعداء ظاهر.

ورغم تشوش ذهنها، لاحظت جمال تلك العينين واللتين كانتا بخضرة الغابة، ولكنه كان أيضاً رجلاً بالغ الغضب.

وقالت ببرودة: «ما سبب هذا كله؟»

«اتسأليني؟» كانت أساريره تبدو صارمة. وتسمرت نظراتها على الشق العميق في ذقنه، وبدا في غضبه هذا قوياً مسيطراً خطراً.

«في لحظة كنت تتهادين سائرة على الرصيف، وإذا بك في اللحظة التالية تنزلين عنه مباشرة إلى الطريق المعاكس لسير الشاحنات.»

فردت عليه بحدة وقد ثار غضبها لطريقته في الكلام: «ان

لدى السائقين مرايا ضخمة بحيث يرون فيها الحشرة المارة في طريقهم.»

«الطبيب النفسي فقط هو الذي بإمكانه التكهّن بأنك ستنزّلين عن الرصيف بهذا الشكل المفاجيء، وكأنك تسيرين في نومك. ما الذي تفعلينه هنا، على كل حال؟ إذا كنت تجمعين تبرعات لمؤسسة خيرية، فاعلمي معروفاً في المرة التالية بأن تكتبي إلينا بذلك. إتفقنا؟»

فقالت بلهجة متوترة: «ليس بك حاجة إلى ان تكون فظاً بهذا الشكل.»

«بل هناك إذا كان تبخترك في مشيتك هذا يمكن ان يوقعنا، نحن وإياك في الخطر، ان اسمي هو ماثيو ماغنوم، فهل بإمكانني ان اساعدك بأي شكل؟»

فرطبت مارغريت شفقتها الجافتين، ذلك ان جو كان قد ذكر هذا الاسم، ونظرت إلى صاحب شحن بدوين وحاولت ان تبدو هادئة متحكمة بمشاعرها، وعندما أخذ يشملها بنظراته من رأسها إلى أخمص قدميها، تبدد ذلك الهدوء والتحكم بالمشاعر، وبدت كالضائعة.

عادت نظرات ماغنوم تستقر على وجهها، بينما اجابت هي قائلة: «انني أبحث عن شقيقي تيمي براوننغ، فهل هو هنا؟»

ضاقّت عينا ماثيو ماغنوم، وعاد ينظر إليها مرة أخرى وكأنه يراها لأول مرة، ثم أوما يحدث نفسه: مع ان الشعر الأحمر والملاح هي ذاتها إلا ان الفم مختلف الشكل.

كان كلامه صحيحاً، ذلك أن اكثر الناس كانوا يقولون مثل هذا الكلام، حتى كأنها وشقيقها توأمان.

«إذن فأنت ابنة الشقيق المسرفة التي كنت أسمع عنها؟»

ففتحت مارغريت فمها ذاهلة: «ابنة الشقيق المسرفة؟»

«هل انت قادمة من واشنطن لقضاء الصيف؟»

فأومات بالإيجاب، ولم يبد عليه أي استحسان لها أو

لعملها في واشنطن، تساءلت مارغريت وقد تشوش ذهنها،

عما يجعل من حرفة التعليم مثاراً للعداء.

«لقد حان وقت عودتك إلى بيتك.»

فسألته: «لماذا؟»

أجاب وقد ضاقت عيناه: «لماذا؟ اخرجي رأسك من حيث

دفنته في الرمال، ترين لماذا. لأن عمك مرهقة بما لديها من

إدارة المطعم والعناية بشقيقك، بينما انت تعيشين حياتك

حسب مزاجك.» وقبل ان تتمكن من التلطف بكلمة، كان هو قد

ابتعد عنها وهو ينادي: «تيمي.»

جعلها الصوت المرتفع تجفل، ثم أخذت تحدق لحظة في

ظهره العريض، انها لم تعد تستطيع العيش حسب مزاجها

براتبها هذا، ثم لماذا يلّمح إلى انها نعمة تدفن رأسها في

الرمال، غافلة عما كان يحدث حولها؟ انه فعلاً أكثر الرجال

الذين عرفتهم خشونة واستفزازاً للآخرين.

وسرعان ما تحول انتباه مارغريت إلى شقيقها وهو

يظهر من احدى الكاراجات الواسعة في المؤخرة.

ابتسمت مارغريت وشقيقها يرد على ماثيو قائلاً: «نعم،

يا ماثيو؟»

فأشار ماثيو ماغنوم بإبهامه نحو مارغريت. خف شعور

مارغريت بالسرور وهي ترى ردة الفعل لدى شقيقها اقرب

إلى الصدمة لوجودها منها إلى الدهشة.

وصاح به ماتيو من فوق كتفه وهو يدخل مكتبه: «خذ خمس دقائق.»

«مرحباً يا تيمي.» لكن ذراعي مارغاريت الممتدتين اليه سرعان ما هبطتا إلى جانبيها وهي تدرك ان ليس في نية تيمي ان يدعها تعانقه، وتابعت تقول: «كيف حالك؟»

أجاب وهو يدس يديه في جيبيه: «انني بخير، يا أختاه، هل كان سفرك مريحاً؟»

فاومأت بالإيجاب، ثم سألته: «ما الذي كان يعنيه بقوله (خذ خمس دقائق)؟»

فأجاب: «هذا لأنني اعمل هنا.»

ودارت الدنيا حولها وهي ترى ان آخر أمل لها في ان تيمي لا يعمل هنا، قد تبدد.

وقالت: «كنت اظنك تعمل عند دانز دوناتز؟»

فحول نظراته بعيداً: «كنت كذلك إلى ان وجدت هذا العمل، انني افضل العمل في الشاحنات.»

«فهمت.»

صحيح ان الاتصال الوحيد بينهما في الشهر الماضي كان مجرد مخابرات هاتفية مختصرة، ولكن كان بإمكان تيمي ان يخبرها بعمله الجديد هذا.

هذا إذا كان قد أراد ذلك حقاً.

في صف علم النفس أثناء دراستها في الجامعة تعلمت مارغاريت ان لا تظهر انزعاجاً بالغاً إزاء الأمور التي لم تكن تحبها، ذلك ان ردود الفعل الغاضبة تنتج السلبية عند الشخص الآخر ما يتخذ معه موقف الدفاع، وتنفست بعمق: «لقد توقفت عند محل دانز أسأله عنك فأخبرني انني ساجدك هنا.»

فبقي صامتاً محولاً نظراته عنها.

تسلحت مارغاريت باللطف والصبر وهي تسأله: «متى ينتهي عملك اليومي؟»

«في الخامسة.»

«هل آتي اليك لنذهب معاً إلى السينما في غاريسن؟»

«ربما في وقت آخر، حيث انني سأخرج بعد العمل مع تيجي.»
أين تيمي الأمس الذي كان يبتسم عندما يأتي على نكر صديقتة، بينما فتى اليوم يرفض تبادل النظرات معها الآن.
فقالت: «هذا عظيم.» بينما كان شعورها الداخلي بالفراغ يزداد. لم يسبق ان كان تيمي بعيداً بمشاعره عنها من قبل.

حدثت نفسها بأن كل ما حدث في نصف الساعة الأخيرة بدا لها وكأنه اكبر كثيراً من حجمه لا لشيء إلا لأنها هي متعبة. ذلك الرجل، سلوك تيمي نحوها، شعورها هذا بالضيق وعدم الارتياح... قال لها تيمي بارتباك: «سأراك فيما بعد، يا أختاه إذ علي ان اعود إلى العمل.»

«فيما بعد.»

غادرت موقف الشاحنات، وعندما وصلت إلى الشارع الرئيسي، اتجهت شمالاً، كانت انشواتر تبعد مائتي ميل عن لوس انجلس، وهي اكثر قليلاً من مجرد استراحة للمسافرين، وكان المطعم الذي تملكه عمته لا يفصله عنها الآن سوى عدة مبان.

سارت مارغاريت رافعة الرأس واسعة الخطى وهي تحدث نفسها بأن الهواء النقي هو كل ما هي بحاجة إليه لكي تشعر بالانتعاش.

ان عمل تيمي في موقف الشاحنات لا يعني شيئاً، ومن الطبيعي بالنسبة اليه، ان يفضل عملاً كهذا على قلي الكعك المحلى بالسكر عند دانز فهذا لا يدل على انه يفتني خطوات والديهما في العمل.

وتباطأت خطواتها.

كان والدها قد أمضى أربعة وعشرين عاماً يعمل سائق شاحنة عندما وجدوا شاحنته في قعر واد ووالديها في داخلها ميتين.

لقد كشف تشريح الجثة عن ان السبب كان انسداداً في الشرايين ما سبب لوالدها ذبحة قلبية جعلته يفقد سيطرته على القيادة، ما أدى إلى وفاته.

وكان هذا نتيجة الحياة غير المستقرة وأكل الشطائر الدسمة بكثرة في مواقف الشاحنات.

لذا، كانت عمته قد قررت فتح مطعم لسائقي الشاحنات. وكان هذا امراً مناسباً لوالديها، وخصوصاً والدها، فقد كان كل نوع من الطعام يقدمه المطعم قد اختير بعناية تامة من حيث خلوه من الكولسترول والدهن الزائد، ومع ذلك لذيذاً، والعناية بالصحة جعلت هذا المطعم مرغوباً ومقصوداً من سائقي الشاحنات والسائحين كذلك.

دخلت مارغريت من بوابة حديقة المطعم الخلفية إلى حيث المطعم رفعت عمته جانيت هوبر عينيها عن عجينة الفطائر التي كانت تقوم بصنعها، وأشرق وجهها بالابتسام وهي تدور حول المنضدة تحيي ابنة شقيقها: «مارغريت، مرحباً بك عائدة إلى بيتك يا حبيبتى.»

كان بيتها هو ذراعاً عمته جانيت تضمانها، ودفء

حنانها، وابتسامتها المحبة. بقيتا متعانقتين فترة طويلة، معبرتين عن سرورهما البالغ بهذا اللقاء دون كلمات.

كان هذا المطبخ شاهداً لكثير من مشاهد عودتها إلى البيت على مر السنين، كانت رائحة الخبز الطازج تملأ جوه تمتزج برائحة الشواء في الفرن، بينما كانت العمه جانيت تسرع في تحضير فنجان قهوة لها. ولاحظت مارغريت تجديد ستائر النوافذ التي تشرف على الحديقة وصفاً من أواني الطهي النحاسية تتألق بجانب الجدار، ومن خارج المطبخ كانت تسمع الأصوات من المطعم مع صلصة الأطباق التي كانت تغسل في المطبخ، لشد ما اشتاقت إلى هذا كله. نظرت مارغريت إلى العمه جانيت، وسرعان ما لاحظت الخطوط الجديدة في جبهتها، والنظرة المتعبة في عينيها، كان من الصعب على الغريب ان يتصور مقدار ولع جانيت هوبر بالطهي والعمل، وسألته برقة: «كيف حالك، يا عمتي؟»

أجابت العمه بسرعة ونشاط: «في أحسن حال، اجلسي وسأسكب لك فنجان قهوة، هل وجدت تيمي؟»

«نعم، ان لديه عملاً جديداً الآن في موقف الشاحنات.» وجعلت لهجتها العمه جانيت تقف وإبريق القهوة في يدها، ثم تقول: «لقد ابتداءً بعمله هذا منذ شهر.»

فقالت مارغريت شاعرة بخوف بالغ من الهوة الجديدة التي اقيمت بينها وبين شقيقها: «انه لم يسبق ان حدثني عن ذلك.»

فقالت العمه: «ان ماتيو هو مثال تيمي الأعلى.»

سألته مارغريت بسرعة مغيرة الموضوع: «كيف حال

العمل في المطعم؟» فهي لم تكن تريد ان تتحدث عن ماتيو ماغنوم الآن.

«العمل كثير، واطمنى لو كان لدينا المزيد من المساعدين، لقد كنت اخبرتك عن جينا التي تشتغل عندنا على الصندوق، انها ستجيب طفلها بعد اسبوعين، ولم اجد بعد من يستلم مكانها، كما ان لدي وظيفة أخرى خالية، لقد وعدني مكتب التوظيف في غاريسون بأن يهيبء لي موظفاً مناسباً بأسرع ما يمكنه، ولكن يبدو ان العمل في مطعم في انشواتر لا يلاقي رغبة من أحد.»

فتح الباب الذي يفصل المطبخ عن المطعم، ودخلت منه فتاة في أواخر شهور حملها، وعندما رأت مارغريت وقفت. ابتسمت جانيت للفتاة: «ادخلي يا جينا وتناولي معنا فنجان قهوة، هذه ابنة شقيقي مارغريت، مارغريت، هذه جينا ويد.»

قالت جينا بخجل: «لا أريد ان اقطع عليكما الحديث، انا فقط اريد ان اشكرك لتلك الفطيرة اللذيذة التي اعطيتينيها أمس، يا جانيت، لقد أحبها جاك كثيراً.»

فكرت مارغريت بأن ثمة طباعاً لا تتغير ابداً، فقد كانت وشقيقها يريان دوماً ان عمتهما تمنح الآخرين نصف الطعام الذي تطهيه.

فقالت جانيت: «لقد صنعت لك شيئاً من صلصة المعكرونة لتأخذها معك هذه الليلة، ضعها في الثلجة، وستجديها جاهزة بعد ان تنجبي طفلك، والآن اجلسي قبل ان تنتهي فترة استراحتك.»

قالت جينا لمارغريت وهي تجلس: «ان عمك لا تتوقف

عن الحديث عنك، لقد حدثتني عن كل العمل الذي تقومين به في معهد الأولاد المعوقين في واشنطن.»

فأومات مارغريت قائلة: «انني أعشق عملي، فقط أتمنى لو كان قريباً من هنا.»

وقالت العمّة جانيت مزهوة: «ان معهد إدواردز هذا ينشئ لنفسه اسماً محترماً وان كان ببطء.»

سألت جينا: «ومن هو صاحبه؟»

أجابت مارغريت: «انه الدكتور آرون إدواردز. لقد تأثر جداً بعد قراءته مقالاً عن الاطفال المعوقين الذين يهجرهم آباؤهم، فترك عيادته الناجحة في العلاج الطبيعي لينشئ هذا المعهد، وهدفه هو ان يأخذ اليه قدر ما يستطيعه من المعوقين لكي يرعاهم، وبعد فترة اكتشف ان بعض أولئك الاطفال استفادوا من التعلم والقراءة لهم، فاستأجر معلمين يمكنهم منحهم اهتماماً افرادياً، وكنت انا معلمة في سان فرانسيسكو عندما سمعت عن عمله هذا، فكتبت اليه، ولحسن حظي طلبني للعمل عنده.»

فقالت جينا: «ان تعليم المعوقين يحتاج إلى صبر بالغ.»

قالت مارغريت: «نعم، وانا أحب عملي.»

اضافت العمّة جانيت: «ان محبة الشخص لعمله هو سر السعادة، ومن الخطأ الجسيم ان يتخذ الناس العمل لمجرد مقدار المال الذي يدره عليهم، وذلك بدلاً من التماس العمل الذي يريدونه حقاً.»

وإن لاحظت مارغريت العبوس المفاجيء الذي بدا على وجه جينا، سألتها: «هل تشعرين بشيء؟»

فأجابت هذه: «انا بخير، ثمة ألم بسيط في ظهري فقط.»

ثم أنهت قهوتها ووقفت وهي تمسد ظهرها: «لقد حان وقت عودتي إلى العمل، لقد سرتني التعرف إليك يا مارغريت.»
وعندما خرجت جينا، نظرت مارغريت إلى عمته: «إنها صغيرة السن جداً، أليس كذلك؟»

فأومات العمه برأسها: «لقد تركت المدرسة لتتزوج، إنها جديرة تماماً بالثقة، كما أن زوجها هو أحد سائقي ماتيو.»
يبدو وكأن ماتيو ماغنوم قد أقحم نفسه في حياة كل شخص في إنشواتر، ووقفت مارغريت فجأة: «هل أنت بحاجة إلى أي عون هنا؟»

فهزت العمه رأسها: «كلا، ابدأ، إذهبي وأريحي نفسك بعد ذلك السفر الطويل، فوجهك يبدو كوجوه الأموات.»

منحت مارغريت عمته ابتسامة سريعة ثم استدارت خارجة إلى حيث صعدت إلى الطابق العلوي حيث شقة السكن، أربع غرف نوم، وثلاث حمامات، وغرفة جلوس وغرفة طعام ومطبخ صغير لا يكاد يستعمل إلا للشاي والقهوة.

ذهبت رأساً إلى حمامها واخذت تتفحص وجهها، لقد علمت الآن كيف تبدو وجوه الأموات، هالات قاتمة تحيط بعينيها البنيتين، توتر وإرهاق يسلبان اللون من وجهها، شعرها الأحمر الكث الجعد الذي يصل إلى خصرها والذي تربطه إلى الخلف، يبدو الآن متهدلاً لا حياة فيه، وكان الطقم الذي ترتديه منذ أمس يبدو مكرشاً، ذلك أن تركها واشنطن مباشرة بعد انتهاء اجتماع الموظفين في نهاية الفصل، لم يترك وقتاً لتغيير ملابسها.

وجعلها حمام ساخن تلقي بكل متاعب الساعات الأخيرة من ذهنها.

ذلك الرجل القوي، الغاضب في موقف الشاحنات، وتيمي وهو ينظر إليها وكأنه لا يحبها، ووجه عمته المرهق والذي يتألق بالمحبة.

بقيت هذه الصورة امام عيني مارغريت وهي ترتدي بيجامتها وتأوي إلى فراشها، لقد اثارت رؤية موقف الشاحنات في إنشواتر كل مخاوفها الكامنة، ذلك ان وراء خوفها من عمل تيمي حول الشاحنات، كان يكمن خوف آخر هو الذي ألقى بظله البشع على أيامها وراودها في احلامها، انه خوفها من ان يسلبها الموت شقيقها كما سبق وسلبها والديها.

الفصل الثاني

سأل ماتيو الفتى الذي كان ينظف بعض المعدات: «كيف يسير الحال، يا تيمي؟»
فارتفع الرأس الأحمر الشعر، ونظرت إليه العينان البنيتان المماثلتان تماماً لعيني مارغريت، كان التعبير في العينين هو المختلف فقط، فهي لم تتحمل عناء اخفاء العدا والتوتر أمس، بينما تيمي كان ينظر إليه ببالغ المودة والسعادة، وهو يرد عليه قائلاً: «بشكل جيد تماماً، يا سيد ماغنوم.»

«هل جاءت شقيقتك لقضاء الصيف هنا؟»

لم يغفل عما بدأ على وجه الفتى من عبوس وهو يقول: «لم أعرف بعد.»
«أظن وقتاً طويلاً مضى منذ أتت إلى البيت لآخر مرة، أليس كذلك؟»

أجاب الفتى: «إنها تأتي أحياناً في فرصة العيد، ولكننا في السنة الماضية، قمنا جميعاً برحلة معاً، إن مارغريت تشتغل أثناء الصيف في واشنطن، فنذهب أنا وعمتي لنمضي بعض الوقت معها، إن لديها هناك شقة أنيقة.»

قطب ماتيو جبينه. ذلك أن المرأة المحنكة التي تعرف إليها لتوه، هي متلائمة تماماً مع مجتمع واشنطن، ولكن الأكم البادي في عينيها يشير إلى جراح روحية عميقة.
قال ماتيو وهو يبتعد: «حسناً، إذا احتاج أي منكما إلى

مواصلات إلى لوس انجلس أو فيغاس للتسوق، فأنت تعلم ان عرضي ذاك ما زال قائماً، إن أياً من السائقين سيأخذكما بكل سرور.»

«شكراً يا سيد ماغنوم، ولكن مارغريت لا تحب ركوب الشاحنات.»

وتساءل ماتيو عما يجعل مارغريت تحرق في الشاحنات كالمسحورة ما دامت لا تحب الركوب فيها، لقد كان واثقاً من أن رؤية ذلك التعبير على وجهها لم يكن من فعل تصوراته، وكذلك تلك النظرة الساهمة في عينيها. وتذكر ما كانت ذكرته جانبية مرة من أن والدي مارغريت وتيمي قد قتلوا عندما أصيب الأب بذبحة صدرية وهو خلف مقود شاحنته. فهل وجود مارغريت هنا قد أيقظ شبح الماضي في نفسها؟

وناداه صوت من باب مكتبه: «يا سيد ماغنوم، إن توم كامدين على الخط يريد التحدث إليك.»

«سأكون عندك حالاً.» أجابه ماتيو بذلك وهو يهز كتفيه، إن لديه الكثير من العمل بشكل لا يدع له مجالاً لتحليل نفسية شقيقة تيمي براونينغ.

«أخبرني إذا كنت تريد مزيداً من أوقات الفراغ أثناء وجود شقيقتك هنا.»
«نعم، يا سيدي.»

قال تيمي وهو يدخل الحديقة فتقع نظراته على شقيقته جالسة على الأرجوحة القديمة: «مرحباً يا مارغريت، ما كان لك أن تنتظريني.»

فابتسمت شقيقته بحنان: «كنت أمل أن نتحدث قليلاً.»
«سأحضر زجاجتي عصير ثم أعود.»
كان من عاداتها أن تنتظر عودته من موعد أو نزهة مع
أصدقائه، وأمس في أول ليلة لها هنا، جعلها الارهاق تنام
مبكراً، أما هذه الليلة فقد قررت أن تنتظره.

طالما اعتادت، وشقيقها، الجلوس معاً على هذه
الأرجوحة حيث كانا يتحدثان إلى وقت متأخر من الليل.
فهنالم يكن عليهما أن يخافا إقلاق راحة العمه جانيت والتي
كانت تستيقظ في الخامسة صباحاً، فقد كانت الحديقة،
بشذاها وظلالها تلك، مكاناً مناسباً لتبادل الأسرار.

لم يكن في نية مارغريت الاستقرار في حياتها، حتى
الآن فقد كانت تريد أولاً أن ترى تيمي وقد أنهى دراسته
الجامعية، وأن تطمئن إلى أن المطعم في حالة تسمح بأن لا
يكون على عمته أن تقوم بعمل أكثر من مجرد الاشراف،
وذلك قبل أن تبدأ التفكير في نفسها.

عاد تيمي بزجاجتي عصيرناولها واحدة ثم جلس وهو
يسألها: «والآن، ماذا فعلت في يومك هذا؟»

«لقد رقدت معظم النهار، ثم أفرغت أمتعتي وبعد ذلك قمت
بجولة في المكان.»

كان الضوء المنبعث من المطبخ يجعل من السهل رؤية
التعبير المبهم الذي كان يكسو ملامح شقيقها، وتخلل
شعره بأصابعه، فشعرت بالقلق. فهو لا يفعل ذلك إلا عندما
يكون حائراً أو مرتبكاً.

قالت باسمه: «كنت أظن أننا سنطّلع على كل الأخبار.»

«لا شيء هناك لنتحدث عنه.»

فتملكها الذعر، منذ متى تحوّل شقيقها إلى شخص غريب
مقفل الفم وهو الثرثار عادة؟ دوماً كانت العمه جانيت تقول
انها هي، مارغريت، هي الانطوائية في الأسرة بينما تيمي
هو الانبساطي المنفتح.

«هل أنت مصممة على قضاء الصيف هنا؟»

أترى في صوت تيمي نبرة حذرة أم هي مجرد تخيلات
منها؟

«نعم.»

كانت مارغريت قد اتخذت قرارها هذا بعد مخابرتها
الهاتفية الأخيرة لعمتها، فقد كانت هذه أخبرتها أن تيمي قد
قرر العمل خلال الصيف، وأنها هي غير قادرة على القدوم
إليها في واشنطن هذه السنة بسبب عدم وجود من يستلم
مكانها في المطعم. وكانت مارغريت قد لاحظت في صوت
عمتها الارهاق وعدم الحيوية خلاف عاداتها، وهكذا قررت
أن تعود إلى انشواتر لمساعدتها.

لقد تملك عمته السرور لقرار ابنة أخيها هذا ولكن مثل
هذا السرور لم يظهر على شقيقها. سألته وهي تحاول
جاهدة الاحتفاظ بابتسامتها: «هل تحب عملك الجديد؟»

فأشرق وجه تيمي: «إن السيد ماغنوم رجل هادئ، إنه
لا يصرخ ويشتم كما كان دانز يفعل. هذا إلى أنه يعطيني
خمسة وعشرين سنت في الساعة أكثر منه.»

«هذا عظيم.» وبدا صوت مارغريت أجوف كاذباً.

سألها: «كيف حال أمورك في واشنطن؟»

«عظيم.» لماذا لم تلاحظ من قبل سخافة هذه الكلمة
وتفاهتها؟

فسألها: «هل حولك المعهد إلى وظيفة في غاريسون بنصف دوام أثناء فصل الصيف؟»
«كلا، فأنا أريد أن أساعد العمدة جانيت في المطعم. لقد فكرت في أن نمضي هذه السنة بعض الوقت معاً كأسرة... وربما نقوم برحلة إلى يوزيمايت.»
وكانوا، هم الثلاثة، قد سبقوا واستمتعوا برحلة مماثلة إلى ناشيونال بارك.

فقال تيمي: «هذا عظيم ولكن ليس بإمكانني أن أحصل على وقت فراغ، ولكن العمدة جانيت ستسرها رحلة إلى يوزيمايت بكل تأكيد. السيد ماغنوم يقول ان بإمكانني أن أكون ميكانيكياً جيداً، وإذا أنا أردت، فهو سيجعلني أبدأ رحلات قصيرة مع السائقين.»

هتفت في نفسها، كلا. وحاولت أن تنبذ من مخيلتها الصورة السوداء التي شكلتها كلمات تيمي، كلا.
لم تكن تريد أن ينخرط تيمي في أعمال الشحن كأبيهما. كانت تريد أن يتخذ شقيقها عملاً حسناً منتظماً من الساعة الثامنة إلى الخامسة يومياً ويعيش حياة عائلية مستقرة.
قالت بصوت جاهدت في جعله هادئاً: «ماذا فعلت في الامتحان التمهيدي لامتحان القبول الصيف الماضي؟»
كانت شهادة النجاح في هذا الامتحان تساعد الطالب في قبوله لدخول الجامعة. وفي العيد كان تيمي يكرر قوله لها انه قدم هذا الامتحان.

هز تيمي كتفيه قائلاً: «لا بأس، كانت الرياضيات سهلة، ولكن اللغة الانكليزية كانت صعبة للغاية.»
«لقد فكرت في أن بإمكاننا أن نمضي جزءاً من هذا

الصيف في استيعاب مواد هذا الامتحان، إنك تعلم أنه كلما ارتفعت علامتك، كلما زاد حظك في الدخول إلى الجامعة.»
كان تيمي يريد أن يكون مهندساً، وكانت مارغريت تريده أن يدخل أفضل كلية للهندسة في البلاد. وإذا به يقول: «قد لا أتقدم إلى هذا الامتحان.»

وكان لقوله هذا وقع الصاعقة عليها. «ماذا تعني؟»
«إنني غير واثق من رغبتني في الذهاب إلى الجامعة.»
«غير... غير واثق؟»

«إنني أفكر في العمل بعد تخرجي من المدرسة الثانوية. وربما أذهب إلى مدرسة تعليم قيادة الشاحنات.»
قد يكون هذا كابوساً نتيجة قلقها البالغ.
«مدرسة... مدرسة تعليم قيادة الشاحنات؟»

أجاب وهو ينهض: «نعم، عليّ أن أستيقظ باكراً لكي أذهب إلى صيد السمك مع السيد ماغنوم، قلت له إنني سأريه أحسن مكان يمكنه أن يجد فيه سمك السلمون المرقط، تصبحين على خير يا مارغريت.»
«تصبح على خير يا تيمي.»

إنه سيذهب ليذل ذلك الغريب على جدولهم المائي ويجعله يصطاد سمكاتهم، وذلك بالقرب من غاريسون. ولم تعرف أيهما أكثر إيلاًماً، أهو عدم سؤاله رأيها في كل ما يقوم به، أم أخذه ماتيو ماغنوم إلى مكانهم المفضل للصيد؟ ويبدو أن تأثير هذا الرجل في تيمي عميق جداً، ربما أكثر عمقاً مما غرست هي في نفسه طوال هذه السنين.

بقيت مارغريت جالسة شاعرة بالوحدة، غافلة عن صرير الأرجوحة وروائح الأعشاب التي تستعمل في الطهي

والتي تغرسها عمتها كل عام، وعن أفكارها التي تتقلب في ذهنها. وشعرت ببرودة السلاسل التي تحمل الأرجوحة وقسوتها تحت أصابعها. فتحت باب المطبخ، فأخذت تراقب أحد مستخدمي المطعم يحمل كيساً إلى حيث ألقاه في صندوق القمامة في ناحية من المبنى. كل شيء بدا لها غير حقيقي، وملاً الكدر والاستياء مارغريت وهي تفكر في ما جناه موقف شاحنات ماتيو ماغنوم على شقيقها.

تيمي يريد أن يذهب إلى مدرسة تعليم قيادة الشاحنات إنه يريد أن يسوق شاحنة ضخمة... تماماً كالتي كانت لدى والدها، واعتصر الألم قلبها. وعاودها نفس الشعور الذي كان تملكها عندما أخبروها بأن والديها لن يعودا قط، لقد أفلتت الحياة مرة أخرى من بين يديها. وأدركت مارغريت أن عليها أن تقوم بشيء تجاه هذا الأمر وذلك في أسرع وقت ممكن.

عندما سارت على الاسفلت، بعد ذلك بأسبوع، كان هذا مبتلاً، ومع أنها كانت قررت التحدث إلى ماتيو ماغنوم في اليوم الثاني من وجودها في انشواتر، إلا أنها لم تجد الجراءة لذلك حتى الآن. وقد حدثت مارغريت نفسها بأن السبب في ذلك هو انشغالها بالعمل في المطعم طوال الأسبوع الماضي.

اثنان من السائقين، في طريقهما إلى شاحنتيهما، حدقا في وجهها بفضول، وكانت هي تعلم أنها تبدو شاذة في هذا المكان بما ترتديه من تنورة وكنزة قطنية، وشاح حريري حول عنقها، كانت بحاجة إلى الثقة بالنفس التي

توفرها لها ملابسها غير المتكلفة هذه، حتى شعرها قد رفعته إلى أعلى ليؤكد طبيعة هذه الزيارة العملية. وإن لم تستطع مخابرة ماتيو ماغنوم هاتفياً أمس الأول، فقد أجابتها على الرسالة التي كانت تركتها له، فتاة قالت إنها المساعدة في مكتبه في الدوام النصفى، وأن السيد ماغنوم سيسره رؤيتها عند الساعة السابعة من صباح يوم الأربعاء. وكان تيمي يذهب إلى العمل الساعة الثامنة وهذا، كما فكرت مارغريت، سيمنحها وقتاً كافياً لما جاءت لأجله.

«هل أستطيع مساعدتك؟» قالت لها ذلك امرأة نظرت إليها من خلف جهاز كمبيوتر على مكتبها حين دخلت مارغريت. فقالت: «لقد جئت لمقابلة السيد ماغنوم هل هو هنا؟»
«إنه في المبنى الخلفي. آخر غرفة إلى يسارك.»
«شكراً.»

سارت مارغريت باتجاه المبنى شاعرة بارتجاف مفاجيء في ساقيهما، اتجهت نظراتها إلى اليسار نحو الباب الأخير، ثم توقفت، كان شيئاً لا يصدق فبين كل هذه الجدر الخرسانية والعجلات كانت فسحة ممهدة مساحتها تبلغ الأربعة أمتار يحيط بها جدار من القرميد يبلغ القدمين علواً، كانت الفسحة في الداخل مغطاة بعشب رائع كما قامت في الوسط شجرة وارفة تظلل مساكب منتظمة من الأزهار، وتحيط بذلك شجيرات كثيفة من الورد المزهر. وكان شذا الورد يعبق في الجو، كان هذا مكاناً غريباً لإقامة حديقة، ولكن جمالها الخالص ترك في نفسها أثراً عميقاً. وتساءلت عن عسى أن يكون فكر في إقامتها هنا.

ونكرها هدير محرك بأنها لم تأت إلى هنا للإعجاب
بالمكان ولكن لمقابلة صاحبه.

وإذ استدارت إلى شمالها، رأت اللوحة التي تحمل الاسم،
ماغنوم، بكل بساطة ودون زينة أو زخرفة.
وإذ قرعت الباب، سمعت كلمة «أدخل.» فدفعت الباب
بحذر، ودخلت.

كان يحرق من الناظفة. فنظرت إلى المقعد المنخفض
الجالس عليه، والمكتب القديم المغطى بأكوام من الورق.
ومن حيث كانت واقفة، تمكنت من أن ترى أن المكتب يطل
على الحديقة الصغيرة.

كانت تتوقع أن تجد هذا المكتب مماثلاً للمكتب
الأمامي... شيئاً يشابه مكاتب الشركات الفخمة المهيبه
والتي تراها في التلفزيون، مع المقاعد الجلدية الفخمة، هذا
إلى سكرتيرة شقراء بالغة الجمال. أما هنا، فكان يوجد
منضدة عليها ابريق القهوة وعدة كراسي مطوية إلى رفوف
للكتب وخزانة للملفات. وإلى جانب الجدار يوجد منضدة
أخرى عليها جهاز كمبيوتر وآلة طباعة. عندما نظرت
مارغريت حولها، كانت الكلمات التي تدافعت إلى ذهنها
هي، الدفاء والبساطة، وجوّ البيت.

وعرفت من خليط الأصوات المتصاعد في جوّ المكتب أن
ماتيو ماغنوم يستمع إلى محطة راديو اتحاد الصناعيين.
كانت رائحة القهوة المنعشة تملأ الجوّ. ولم تستطع هي
أن تتجنب ملاحظة أن شعره القاتم كان مبتلاً.

جعلتها رؤيتها له وهو ينظر إلى الحديقة، تتوقف في
مكانها. هل كانت حديقة الورود فكرة ماتيو ماغنوم؟ كان

التفكير في ذلك مزعزعاً. فالإنطباع الذي خلفه في نفسها
بأنه رجل خشن عديم الصبر كان يخالف ما تراه الآن. فهذه
الغرفة العادية والحديقة كانتا أشبه بناظفة إلى عقله. فما
رأته قد بلبل ذهنها، لقد كان بإمكان مارغريت التعامل مع
الرجل الخشن العديم الصبر حيث أنها قابلت كثيرين من هذا
النوع، أما هذا الرجل... فقد جعلها تشعر بعدم الارتياح،
فكل ما هنا يشير إلى أن هناك شيئاً ساراً، مستحياً،
وانسانياً للغاية في شخصية ماتيو ماغنوم.

ازدربت ريقها محاولة السيطرة على أفكارها: «يا سيد
ماغنوم...»

استدار إليها، ثم شملتها نظراته قبل أن ينهض واقفاً.
«آه، شقيقة تيمي براونينغ. قالت لي ليكسي انك تريد
رؤيتي. ما الذي بإمكانني أن أقوم به لأجلك؟»
«إنني هنا لأتحدث إليك بشأن تيمي.»

رفع كومة أوراق عن كرسي وقال لها: «تفضلي
بالجلوس.» وأطقاً الراديو ثم جذب كرسيه آخر وجلس.
جلست هي على حافة الكرسي وجذبت نفساً عميقاً، كان
لا يبعد عنها سوى ثلاثة أقدام. وقد جعل نور الصباح لون
عينيه يبدو مختلفاً هذا النهار... أخضر مزيجاً بالإصفرار،
كانت النظرة فيهما بعيدة عن التكلف والرسميات وهو
يتفحصها بعناية، وجذب شبه الابتسامة على شفثيه
انتباهها إلى ذقنه، ما جعلها تنسى ما جاءت لأجله.

«أتريدين قهوة؟»

«كلا، شكراً إنني فقط أريد عدة دقائق من وقتك.»

«بالتأكيد.»

«إن تيمي صغير السن جداً. والمراهقون غالباً ما يمرون بمراحل قد لا تعني شيئاً في الحقيقة. فإذا أنت لم تشجعه على هذا...»

وتلاشى صوتها. إنها تتكلم بشكل عشوائي فكلماتها غير مفهومة حتى بالنسبة إليها.

«ما الذي أشجعه أنا عليه بالضبط؟»

أخذت تعبت بطرف وشاحها بيدين متوترتين: «هذا الولع بالشاحنات. إن تيمي سيصبح مهندساً.»

«لماذا؟»

«لأنه يتخذك مثله الأعلى، وكل كلامه يدور حول سيرتك.»

«ليس هذا ما عنيته، سؤالي هو لماذا عليه أن يصبح مهندساً؟» ولم يظهر في صوته ما يدل على أنه شعر بالزهو لتزلف تيمي له.

فحاولت أن تعيد سبك كلامها: «لقد كان أبي سائق شاحنة. وقد قتل والداي معاً عندما أصيب بذبحه قلبية وراء المقود. كما أن شاحنته تحطمت.»

«وهكذا، طالما شقيقك ليس سائق شاحنة، فهو في أمان؟» وبدا عليه بوضوح عدم موافقته على رأيها هذا.

«إنك لا تعرف تأثير ذلك على العمدة جانيت.» ولم تستطع مارغريت أن تخفي رجفة الغضب في صوتها.

استند ماتيو إلى المكتب القديم، وهو يقول: «لماذا لا تخبريني بتأثير ذلك على جانيت؟ إنها تعرف أنه يعمل عندي، ومع ذلك لم تعترض.»

لم تستطع أن تكبح كلماتها وهي تقول: «ربما هي ترجو، مثلي أنا، بأن تلك ما هي إلا نزوة عابرة لتيمي، وأنا لا

أريدها أن تعيد إحياء الكارثة المتصلة بالشاحنات، في حياتها.»

«لو كان هناك أي كارثة متصلة بالشاحنات في ذهنها، لما فتحت جانيت، في رأيي، مطعماً لسائقي الشاحنات.» حدقت إليه مارغريت، وقد أدركت أنها قد أخطأت في مجيئها إلى هنا، فقد كان يستمتع بالجدل معها، فكلامها لن يفيد شيئاً معه، ونهضت وهي تقول: «لن آخذ المزيد من وقتك، يا سيد ماغنوم.»

فمد يده يمسك بذراعها برفق وهو يقول: «لا تذهبي.»

«عفواً؟»

كان صوتها ينبيء بالحزن والعجز، ما جعله يشعر بانقباض في صدره، وتأثر لتلك الطفلة التي لمحها خلف هذه المرأة الناضجة.

«لا تهربي خارجة بتلك الدموع التي تغشي عينيك. فأنا لا أريدك أن تسيري أمام إحدى شاحناتي في حالتك هذه.» رآها وقد جمدت مكانها. وشعر بأنها غاضبة ومتوترة معاً. وما لبثت أن قالت بحدة وفي صوتها نبرة بكاء: «إنني أبكي حين أغضب.»

فابتعد عنها، ثم قال لها وهو ينظر إليها: «ولماذا تغضبين؟ هل لأنك لم تحصلي على رغبتك هذه المرة؟» فقالت بغضب: «ليس هذا هو السبب. وإنما لا أستطيع أن أحتمل فكرة أن تيمي سيصبح سائق شاحنة.»

«هل تريدين قشدة مع القهوة؟ أم سكر؟»

فحدقت فيه لحظة خيل إليه معها أنها ستندفع خارجة من المكان، ولكنه رآها ترفع رأسها قائلة: «لا أريد أي قهوة.»

«إنها ستهدى أعصابك. هذا إلى أننا لم ننه حديثنا بعد.»
رأى أنه إذا كان تيمي براونينغ كتاباً مفتوحاً، فإن شقيقته على العكس، فهي من الانغلاق بحيث تحتاج إلى كثير من الحديث والوقت لكي يتغلغل في أعماقها.

«قليلاً من القشدة وملعقة سكر واحدة من فضلك.»

من المؤكد أن فقدان مارغريت لوالديها كان شيئاً بالغ القسوة، ولكن هذا لا يعطيها عذراً في السيطرة على حياة شقيقها وكأن الفتى لا يملك عقلاً. قطب ماتيو جبينه وهو يفكر في ذلك، متذكراً تصميم والده هو على تقرير أمر مستقبله، والكفاح المرير الذي عاناه لكي يحصل على حريته. ناولها فنجان القهوة وهو يقول: «إن تيمي كبير إلى حد يكفي لكي يتخذ قراره بنفسه.»

فقالت: «ولكنه في السادسة عشرة فقط.»

«ألم تكوني بهذه السن عندما تخرجت من المدرسة الثانوية، ثم تركت بيتك لكي تلتحقي بالكلية؟»
طرفت مارغريت بعينيها. كان هذا صحيحاً فقد كانت قفزت صفيين من المرحلة الابتدائية، ثم تخرجت قبل من هم في عمرها، بسنتين وهكذا كانت في السادسة عشرة عندما تركت بيتها إلى كلية بيركلي.

«ان الفتيات أكثر نضجاً من الفتیان في نفس السن.»

فرد عليها بهدوء: «شمة حالات استثنائية. ما الذي قاله تيمي عما يريد فعله؟»

«لقد تحدثت عن مدرسة تعليم قيادة سيارات الشحن، بدلاً من الذهاب إلى الكلية.»

قطب ماتيو ماغنوم حاجبيه: «ربما كنت أنا مسؤولاً

جزئياً عن قراره هذا، فقد تحدثنا منذ أيام عن الحياة في الطرقات، وقد أكون جعلته يفكر في أن بإمكانه أن يكسب خمسين ألف دولار سنوياً، لم أدرك أن تيمي سيختار مهنة قيادة الشاحنات قبل دخول الكلية.»

«خمسون ألف دولار؟» كان ذلك أكثر مما تكسب من

التعليم بعد خمس سنوات في الكلية وشهادة في الثقافة.

ومن المؤكد أن والدها لم يكن يكسب مثل هذا المبلغ.

وسألته بغضب: «من تظن نفسك إذ تملأ ذهنه بمثل هذه

الأكاذيب؟»

فنظر إليها بحدة: «إنني لا أستعمل الكذب، يا آنسة براونينغ.

إن لدي خمسة سائقين يتقاضون مثل هذا المبلغ، واثنين

يتقاضى الواحد منهما خمسة وسبعين ألفاً في السنة.»

«هذا شيء غير طبيعي.»

«هذا ما كنت أوشك أن أقوله. فهو لاء الرجال قد أمضوا

سنوات في العمل في شاحنات بدوين، وهم سائقون ممتازون

ويعتمد عليهم، ويقطعون مسافات طويلة. ووصولهم إلى مثل

هذا المركز يأخذ ما معدله ثلاثون عاماً في العمل.»

«ليس هناك ما يضمن وصول تيمي إلى هذه المرحلة.»

«تماماً كما أنه ليس هناك ما يضمن أن يصبح مهندساً

جيداً.»

«إذا كان مهندساً فحياته ستكون آمنة.»

«على ماذا تؤسسين افتراضك هذا؟ هل يقول الطب ان

المهندسين لا يموتون بالذبحة القلبية في سن الثالثة

والأربعين؟»

ورأت مارغريت أن لا فائدة من الحديث مع رجل لا يرى

أبعد من أنفه. وهكذا أسرع في إنهاء قهوتها، لكي تخرج.
وقال: «إن المشكلة، في رأيي، ليست هو، بل أنت.»
إن في المشكلة. ما أعظم هذا، وأجابته بصوت ينطق
بالعداء: «ماذا تعني؟»

«أعني أنك أعددت لسقيقتك قفصاً مكتوباً عليه مهندس وآمن،
وتريدين أن تجعليه يدخل إليه وذلك بالمداهنة والصبر، دون
اعتبار لمشاعره. صحيح أن ما يدفعك إلى ذلك هو حبك له، وأن
القفص هو ذهبي، ولكن هذا ليس عذراً لما تقومين به.»

فتحت فمها ذاهلة. من يظن ماتيو ماغنوم نفسه، إذ
يحلل نفسيته وكأنها هنا على أريكة التحليل النفسي؟
وتابع ماتيو يقول: «إنك لا تكادين تمضين أسبوعين في
السنة هنا في عطلة العيد. وتيمي يزورك في الصيف لقضاء
أسبوعين آخرين. فكيف يسمح لك اتصالك به مدة أربعة
أسابيع في السنة، بأن تظني أنك تعلمين ما هو الأفضل له؟
بينما أنت لا تعلمين حتى ما هو الأفضل لك أنت نفسك.»
ازدردت مارغريت ريقها بصعوبة ثم فتحت فمها لتتكلم
ولكنها لم تستطع النطق.

«هل فكرت في الأمر من وجهة نظر تيمي؟»

فهزت رأسها نفيًا.

فقال: «هذا الأمر ليس سهلاً بالنسبة إليه، فما قاله بشكل
غير مباشر عندما تحدثنا، أدركت أنه قلق من ردة فعلك حين
تعلمين بأنه يعمل هنا. إن علاقته بك حميمة جداً فلا تقومي
بأي شيء يدمر هذه العلاقة معه.»

«إن اهتمامي البالغ بأخي لا يسمح لي بأن اتخذ موقف
المتفرج بينما هو يفسد حياته.»

«لا أظن عنادك في موقفك هذا بسبب عمل تيمي، وإنما
بسبب السيطرة. إنك تفقدين السيطرة على شقيقك وهذا ما
يخيفك أكثر من أي شيء آخر، أليس كذلك؟»

اجابت بعصبية: «إنني لا أعلم ما الذي تحدث عنه.»
«كلا، بل تعلمين، فلا تتظاهري بالجهل، فأنت دوماً كنت
تسيطرين على تيمي وتريدين الاستمرار في السيطرة عليه.»
«إنني أريد له الأفضل.»

استدار مبتعداً عنها وأخذ يحدق من النافذة وهو يقول: «هذا
سبب ضعيف، فانا أعلم كم هو مؤثر نوع سيطرتك هذه. ذلك أن
والدي لم يقبل قط بالاستماع إلى ما كنت أريده من الحياة. كان
مستبداً في قراراته بالنسبة لأولاده، ما جعل كلاً منا يترك البيت
في أسرع وقت ممكن. فإذا لم تتغيري فستفقدن أخاك.»

فاكتسح مشاعر مارغريت الخوف، ولكنها عادت تقول:
«إن تيمي هو أصغر من أن يعرف ما يريد.»

«هذا غير صحيح، فقد كنت أنا في الخامسة عشرة عندما
تركت البيت لأتخلص من أبي. ولحسن حظي قابلت رجلاً حدثني
بكلام معقول، فعدت إلى البيت. وإلا لكانت حياتي الآن مختلفة
تماماً، وأنا الآن أرى نفسي ذلك الصبي في شخص تيمي،
مشوشاً، محبطاً، عنيداً. ويبدو أنك وشقيقك، تملكان نفس
الصفات، فإذا لم تتغيري من وجهة نظرك هذه فستخسرينه.»

«إنني لا أحاول السيطرة على حياة تيمي، فقط...»
فقاطعتها: «فقط بالنسبة لقراره بالعمل هنا، ثم سيكون فقط
بالنسبة للكلية التي سيذهب إليها، ثم فقط بالنسبة للمرأة التي
سيتزوجها. إن تيمي ليس حجر شطرنج على لوحك.»

لم يكن في كلام هذا الرجل، حسب رأيها، ذرة من

المنطق، ما الذي جعلها تفكر في أن المجيء إلى هنا سيفيدها في حل مشكلتها؟

وعندما حملت به، قال: «أما بالنسبة لعدم رغبة تيمي في الذهاب إلى الكلية، فلا علاقة لي بهذا الموضوع، فأنا أشجع كل مستخدم عندي على أن يحصل من الثقافة قدر ما يستطيع.»

علقت حقيبتها اليدوية بكتفها بعناية بالغة، ثم قالت بطريقة متكلفة: «الوداع يا سيد ماغنوم.»

سارت خارجة من المكتب والغضب يغلي في صدرها، كلمة واحدة أخرى وتنفجر. وفي طريقها إلى البيت، أخذت تشتمه بمختلف الأسماء. وعندما دخلت إلى مطبخ المطعم، كان الغضب ما زال يغلي في صدرها.

«صباح الخير يا مارغريت. لقد استيقظت باكراً هذا الصباح.»

فأخذت صحناً وضعت فيه فطيرة ساخنة، ثم سكبت لنفسها فنجان حليب، وفي منتصف الطريق إلى غرفتها انتبهت إلى أنها لم ترد على تحية عمته الصباحية.

أغلقت خلفها باب غرفتها بعنف، ثم وضعت فطورها السريع على المنضدة لتلقي بنفسها بعد ذلك على السرير.

نسيت ماتيو ماغنوم، نسيت تيمي، نسيت كل إنسان وهي تستلقي طويلاً ضائعة في ذكريات أخذت تتزاحم في ذهنها.

والدها يمر بيديه الكبيرتين على شعرها وهو يقول: «كل الجميلات لهن شعر طويل.» أمها تدفعها على الأرجوحة وهي

تبتسم لها. والدها يرفعها بين يديه في المستشفى وذلك لتتمكن من رؤية أخيها المولود حديثاً. أمها تقول لها إنها

الأخت الكبرى، ووظيفتها هي أن ترعى تيمي أثناء غيابهما.

ألمتها الذكريات. وزاد من ألمها أن تيمي لم تكن لديه أي منها وذلك لأنه كان أصغر من أن يتذكرهما، مثلها لقد حاولت أن تذكره، وكذلك غيرها فعل، ولكن عبثاً. وشعرت مارغريت بغصة في حلقها. كل ما كانت تريده هو سعادة تيمي.

تذكرت الجنازة بوضوح، تذكرت العمّة جانيت وهي تحضنها عندما أخذت تبكي، هامسة في أذنها: «لا بأس يا حبيبتي، سنتدبر أمرنا.»

ولكن الأمر لم يكن بهذه السهولة، فقد جاهدت عمته جانيت في اغراق أحزانها، وذلك لكي تملأ الفراغ الذي تركه الوالدان في حياة مارغريت وتيمي.

كلا، إنها لا تريد أن يسير تيمي على خطوات أبيه، وهو ما كان يفكر في ذلك لو لم يحضر ماتيو ماغنوم إلى انشواتر.

جلست مارغريت في سريرها فجأة، لماذا تسمح لماتيو ماغنوم بأن يؤثر عليها بهذا الشكل، على كل حال؟ فهو غير مهم، المهم هو تيمي، إنها ستترك الأمر خامداً عدة أيام، ثم تأثيره مرة أخرى، فتجعله يرى الأفضل بالنسبة إلى مستقبله، إن تيمي سيعود إليها في النهاية، كما طالما فعل.

الفصل الثالث

إرثدت مارغريت ثيابها، ثم نزلت إلى الطابق الأسفل، فالعمل سيصرف ذهنها عن القلق على تيمي.

«اتعرفين يا عمتي ما الذي جاء بماتيو ماغنوم إلى إنشواتر؟ لقد كان جو ذكر لي شيئاً بهذا الشأن، ولكنني نسيت ما هو.» قالت مارغريت ذلك وهي تدخل المطبخ.

أخذت عمتها تعدل من حرارة الفرن قبل ان تنظر اليها قائلة: «حسناً، لقد جاء ماتيو إلى هنا منذ عام ونصف، عندما اشترى الأرض في هارفي سيمز، وعندما ابتدأ البناء اخذ يكثر التردد على المكان ملاحظاً سير العمل. وعندما ابتدأ العمل في موقف الشاحنات، اخذ يمضي معظم وقته هنا ولكن مقره كان في لوس انجلس.»

«ولكن ما الذي بقي يفعله هنا؟»

«يقول انه يحب هذا المكان، فهو هادىء وتقدم الحضارة فيه بطيء، ما يجعل لدى الناس وقتاً لبضعهم البعض.»

تساءلت مارغريت لماذا لم يذكر لها أحد أمر موقف الشاحنات هذا، فبين المكالمات الأسبوعية مع عمتها وشقيقها، وكذلك الرسائل التي كانت للعمه ترسلها اليها بانتظام، لم يكن ثمة شيء يحدث في إنشواتر لم تكن تعرفه، ومع ذلك تجنبا الاثنان على ذكر موقف الشاحنات هذا أو ماتيو ماغنوم، أترى مؤامرة الصمت هذه كانت مركزة على الظن بأن ما لا تعرفه لا يضر بها؟

«انه غير مقيم في إنشواتر، أليس كذلك؟»

ذلك ان الذين يعجبون بإنشواتر هم عموماً المارة الذين يتوقفون ليأخذوا صوراً لغروب الشمس، مطمئنين إلى ان ليس عليهم ان يعيشوا في هذا المكان إلى الأبد، وإذا كان عليهم ان يقيموا في هذه المنطقة، فهم عادة يختارون غاريسون والتي هي اكثر عمرانا.

أومات العمه برأسها غائبة الذهن وهي تنظر حولها باحثة عن شيء ما: «ان لديه غرفة في نزل ماك، قائلاً انه يريد ان يكون قريباً من موقف الشاحنات، لقد ذكر ماتيو انه قد يضع في اعتباره بناء بيت له هنا، فيما بعد إذا ما قرر البقاء في إنشواتر بشكل دائم.»

لم يكن في إنشواتر بيوت أو نزل أخرى للايجار فنزل ماك كان الخيار الوحيد لكل من يريد الإقامة هنا. فراش سيء كثير الكتل، تلفزيونات لا تعمل وماء ساخن بين حين وآخر. ان ماتيو ماغنوم يستحق كل ذلك.

وعادت تسأل: «كيف تعرف عليه تيمي؟»

«كان ماتيو زبوناً كثير التردد على المطعم، ولكن تيمي لم يتعرف إليه في الحقيقة الا عندما دعي ماتيو إلى قاعة الاجتماعات في غاريسون لكي يتحدث إلى العمال الجدد والقدماء، وبعد ذلك ألقى تيمي على ماتيو اسئلة كثيرة، فدعاه ماتيو إلى زيارة موقف الشاحنات، وبعد ذلك عرفت ان ماتيو قد استخدم تيمي.»

ونظرت العمه إلى وجه ابنة شقيقها الجامد، ثم قالت: «ان موقف الشاحنات هو مكان لعمل تيمي افضل كثيراً من محل دانز دوناتز. فإن لدانز فماً يحتاج إلى طن من الصابون

لتنظيفه، كما ان الفتى الآخر الذي يعمل لديه، له سجل في دوائر الشرطة.»

حدثت مارغريت نفسها بأن ماتيو ماغنوم لن يستطيع البقاء خلال شهري تموز وآب (يوليو واغسطس) عندما تهب الرياح الساخنة من الصحراء، حيث تغطي إنشواتر بالغبار. فالسأم والضيق سيقدفانه بعيداً، وعند ذلك ستستعيد شقيقها، ذلك ان عمله في موقف الشاحنات ما هو إلا فترة مؤقتة يمر بها تيمي.

وقالت العمة: «لقد كان ماتيو بالغ الكياسة، فهذه الأيام تحتوي مواقف الشاحنات على مقاه بجانب المخازن، محطات الوقود، وخدمات الاصلاح وأمكنة لينام فيها السائقون ويغتسلون، فإذا هو اضافة مقهى إلى موقف شاحناته، لكان عليّ ان اغلق مطعمي هذا القلة العمل، وأحد أوائل الأشياء التي طمأنني اليها هو انه لن يقوم بمثل هذا العمل.»

ورأت مارغريت ان عمتها كانت محقة بالنسبة لهذا، فثمانون بالمائة من زبائن مطعمها هم من سائقي الشاحنات. سألت مارغريت عمتها: «اتريدين عوناً هنا؟»

«كلا، وإذا لم يكن لديك عمل تقومين به، فلماذا لا تأخذين مكان جينا أثناء راحتها؟»

فابتسمت مارغريت: «انك تريدين الخلاص مني، أليس كذلك يا عمتي؟ سأراك فيما بعد.»

حين ذهبت إلى المطعم سألت جينا: «كيف حالك، يا جينا؟» نظرت إليها جينا ضاحكة: «مرحباً مارغريت، انني بخير، كل ما أريده هو ان يكفّ الصغير عن لعب الفوتبول في بطني إلى أن يخرج.»

كانت آلة المحاسبة من الأشياء المستحدثة التي تقوم بكل شيء ما عدا إعادة بقية النقود. وسرعان ما تعودت مارغريت عليها، أما ما وجدته صعباً عليها فهو كونها محاطة بسائقي الشاحنات الذين كانوا يشكلون الأغلبية بين زبائن المطعم. لغتهم العامية الخاصة، سلوكهم وملابسهم، كل ذلك اعاد اليها ذكريات غاية في الايلام عن والديها.

تناولت جينا حقيبة يدها ثم تتأبّت: «أرجو المعذرة إذ يبدو ان النعاس اخذ يملكني مؤخراً، انني مسرورة لمساعدتك لنا في المطعم، فانا لن اشعر بالذنب عندما يأتي الطفل، لقد كان القلق تملك العمة جانيت عندما لم تجد محاسباً.»

«ان الناس يفضلون العمل في غاريسون أو بارستو.»
أومأت جينا وهي تترك كرسيها خلف آلة المحاسبة: «العمة جانيت تقول ان هذا احد الاسباب التي جعلتها تحول المكان إلى مطعم ذي خدمة ذاتية، وبهذا يمكنها ان تتدبر أمورها بموظفين أقل عدداً.»

احتلت مارغريت مكان جينا، وكان انتباهها قد سبق وتسمر على الزبون الذي كان ينتظر ليدفع فاتورته، لم تكن المهمة شاقة.

رفعت العمة جانيت بصرها عندما سمعت صوت الباب الخلفي، وقالت تحيّي القادم: «ماتيو، هل شممت رائحة فطيرة التفاح التي صنعتها من موقف شاحناتك؟»

قطعت قسماً كبيراً من الفطيرة وضعتها في طبق وهي تتابع قائلة: «اجلس وكل هذه ريثما أحرر لك الشيك، منذ مدة ملوية لم أرك.»

فقال: «لا ضرورة للسرعة بالنسبة إلى النقود يا جانيت.»

فهزت رأسها قائلة: «كنت شهماً للغاية حين منحنتني قرضاً، هذا إلى قبول سدادها لك على أقساط، ولهذا لن اتهاون في إعادته اليك.»

قال وهو يجلس ماداً يده إلى الفطيرة: «لقد نسيت ابنة شقيقك وشاحها في موقف الشاحنات الأسبوع الماضي، وقد جئت أنا فقط لأعيده اليها.»

رفعت بصرها عن الشيك الذي كانت تحرره: «هل ذهبت مارغريت لرؤيتك؟ هل كان ذلك يوم الأربعاء الماضي؟» فأوماً برأسه دون ان يقول شيئاً.

قالت وهي تحك أنفها: «كان الاستياء يبدو عليها في ذلك النهار، ان علاقتها بتيمي حميمة جداً، وكنت اعرف انها ستستاء جداً عندما تعرف انه يعمل في موقف للشاحنات، هل اخبرتها ان تيمي كان قد اخذ يتسكع مع ذلك الفتى الذي لديه سجل عند الشرطة؟»

فهز رأسه: «كلا.»

قالت وهي تناوله الشيك: «ماتيو، هل لك من فضلك، بأن لا تخبر مارغريت بأمر القرض المالي هذا؟»

«انها لن تعرف ذلك مني، ولكن لماذا تريد ان تخفي عنها الحقيقة؟ لقد كانت السنة الأخيرة بالغة الصعوبة بالنسبة اليك، وهي لم تعد صغيرة على معرفة ذلك.»

جلست جانيت ونظرت اليه: «انني لا احاول حمايتها. ذلك ان مارغريت لو علمت بأمر هذا القرض، لأصرت على سحب مدخراتها وتسديده لك، وانا لا أريد هذا.»

«انك تحبين ابنة شقيقك كثيراً، أليس كذلك يا جانيت؟» «لقد واجهت مارغريت مشاكل كثيرة في حياتها، يا

ماتيو، فعدا عني وعن شقيقها لم تهتم بأي شخص آخر، وكأنها لا تريد ان يلهيها احد عن العناية، بتيمي.»
سألها: «ولكن ألا تكسب أجراً حسناً في واشنطن؟ ان عليها ان تساعدك مالياً.»

فحدقت جانيت اليه بدهشة: «ان مارغريت هي اكثر افراد اسرتنا سخاءً، ولكنها لا تستطيع مساعدتنا لأنها تسدد قرضاً كانت قد اخذته لكي تدخل الكلية، وعليها ان تسدده حالما تستلم عملاً، ليس بإمكان معهد إدواردز ان يعطي أجوراً عالية للمعلمين عنده، وهذا هو السبب في ان مارغريت تبحث عن عمل بنصف دوام اثناء فصل الصيف وذلك لزيادة دخلها. وفي العام الماضي جعلت هدية العيد لنا رحلة رائعة لأنها كانت تعلم كم كنت أتلطف إلى ذلك، وهي الآن توفر نقودها لتدفع نفقات دخول تيمي الكلية، وبذلك لا يكون عليه ان يقدم التماساً بمنحه قرضاً يساعده على ذلك كما فعلت هي، انها دوماً ترسل إلينا أشياء و...»

«هذا يكفي.» قال ماتيو رافعاً يديه الاثنتين بإشارة استسلام بعد ان ادرك انه خسر المعركة. فقد كان واضحاً أن مارغريت في نظر عمته، لا يمكن ان تخطيء، «انني سأعيد اليها وشاحها بنفسني.»

رفعت مارغريت رأسها لدى سماعها صوتاً عند الباب، وجمدت في مكانها. ذلك ان خيالاً ضخماً حجب الضوء عدة ثوان، اخذ قلبها اثناءها يخفق، وذلك قبل ان يدخل ماتيو ماغنوم متوجهاً اليها.

«اعتقد ان هذا لك.» ووضع الوشاح على المنضدة، فأخذت مارغريت تحديق اليه بجمود.

«لقد كنت تركته في مكتبي، ولا بد انه انزلق خلف المكتب، لقد وجدته هذا الصباح عندما سقطت ورقة من فوق المكتب.» وشعرت مارغريت بوجهها يتوهج: «شكراً لإحضاره لي.» لقد كرهت ان تكون شاكراً له، ولكن هذا الوشاح الحريري الايطالي كان هدية التخرج الذي تلقته من عمته، ومن المفروض ان تقر له بالجميل.

وقال لها: «بعد ان خرجت من مكتبي ذلك النهار، طرأت على ذهني فكرة فإذا لم تكوني مشغولة، يمكننا ان نتحدث.» وتحولت نظراته عنها. «هل لك يا جينا بأن تستلمي مكانها فترة؟»

التفتت مارغريت لترى جينا واقفة بجانبها وقد بدا عليها الإعتذار: «انني آسفة لتأخري عليك يا مارغريت، فقد فاجأني النوم دون وعي مني.»

«لا تهتمي بذلك، فأنت بحاجة إلى الراحة.» وهتف بها ماتيو وقد ملأ فنجانين من القهوة: «مارغريت.»

فنهضت كارهة، ونظر هو اليها كان شعرها الأحمر معقوصاً إلى الخلف، ولكن خصلات منه أفلتت لتحيط بوجهها وتلتصق برقبتها، وتلاقت أعينهما فحولت نظراتها عنه بسرعة ولكن ليس قبل ان يرى كراهيتها لمواجهته.

لم يستطع ان يفهم السبب الذي جعله يريد رؤيتها مرة أخرى، كان بإمكانه ان يرسل الوشاح اليها مع تيمي أو يعطيه لجانيت، ولكن منذ لقائهما الأسبوع الماضي لم

يستطع ان يبعد افكاره عنها، حدث نفسه بأن اهتمامه موجه إلى تيمي، ولكن وجه مارغريت هو الذي كان احتل افكاره طوال الاسبوع، كان يريد ان يعرف المزيد عنها.

جلسا بجانب نافذة، واخذت هي تنظر إليه وهو يضع في فنجانها ملعقة سكر وقليلاً من القشدة قبل ان يضعه امامها. «انه كما ترغيبه تماماً.»

«شكراً.» وجاءت هذه الكلمة تحمل الجمود والحرص الذي تشعر به.

اخذت تحرك السكر في فنجانها وهي تتساءل عما يريد ان يتحدث عنه، ليس بينهما أي شيء للحديث سوى تيمي. قالت: «انه نهار جميل، أليس كذلك؟» ونظر اليها ماتيو. شمة هالة من الجذ تحيط بها، أترى لم يخبرها احد ان الاهتمام بالنفس يعادل في أهميته الاهتمام بالآخرين؟ ربما هي بحاجة إلى من يساعدها على التخلص من الشرنقة التي احاطت بها نفسها طوال هذه السنين.

وقال: «انه نهار جميل، وكان جميلاً في الأسبوع الماضي كذلك، ولكننا نسينا ان نذكر ذلك في ذلك الحين، وكان جميلاً أمس، أيضاً وتقول الأرصاد الجوية ان غداً سيكون جميلاً أيضاً.»

كان استفزاز الآخرين غريباً على طبعه، ولكنه حين رأى التعبير في عينيها يتغير، شعر بالسرور، ان مارغريت بحاجة إلى من يستفزها للخروج من شرنقتها هذه.

لا بد انه كان يضحك عليها، وتوترت أساريرها وهو يميل نحوها قائلاً: «لقد جنّت لأعتذر اليك، يا مارغريت.» فسأله ببرودة: «تعتذر؟»

«نعم، لأجل وصفي لك بالمسرفة، فقد كنت ظننت خطأ أن بإمكانك أن تساعدي عمك مادياً، ولكنك لا تريدين ذلك، ما كان لي أن افترض أمراً كهذا، انني آسف.»

أخذت مارغريت تحدق إليه وقد اثر في نفسها اعتذاره هذا اكثر مما أثر فيها أي شيء آخر من شخصه، ذلك ان اعتراف المرء بخطئه يستلزم شجاعة.

قالت له بتوتر: «هذا لا يهم.» الذي رآته مهماً هو انه كان على صواب تماماً بالنسبة لكل الأشياء الأخرى التي قالها، فهي تريد فعلاً أن تدفع تيمي نحو عمل آمن.

وكان ماغنوم قرأ افكارها، قال: «هل وجدت وقتاً تفكرين فيه بذلك الحديث الذي كان دار بيننا الأسبوع الماضي؟»

فثار غضب مارغريت: «لم يكن ذلك حديثاً، فقد كنت تلقي عليّ محاضرة وكنت انا استمع، ولكن هذا لا يعني أنني وافقتك على كل ما قلت، انني لن ادعك تغسل لي دماغى، انني احب أخي كثيراً وأريد له الأصلح.»

فقال: «وما الذي تظنيه الأصلح؟ لقد كانت عمك جانبيت قالت انك تحبين شقيقك إلى درجة لا تريدين ان يلهيك شخص أو شيء عن واجبك نحوه، ما الذي تخططين له، يا مارغريت؟ ان تنتظري إلى ان يتزوج تيمي من فتاة تختارينها له، وذلك قبل ان تفكري في مستقبلك؟»

جذبت مارغريت نفسها عميقاً، لم يكن هذا الرجل يحاول اقحام نفسه في شؤونها الخاصة، فقط، وانما قد اصبح في الوسط منها، وإذ كان الهجوم افضل وسائل الدفاع، فقد سألته:

«ألا تسبب لك إنشواتر السأم البالغ، يا سيد ماغنوم؟ وهل هذا هو السبب في اهتمامك الشخصي بحياة كل شخص؟»

«ادعيني ماتيو، يا مارغريت، ان لإنشواتر صفات متعددة، ولكنني لا اعتبرها مثيرة للسأم.»

«وما الذي تعتبرها، إذن؟»

«انني احب العزلة، والجو الذي يبعثني عن كل شيء.»

«ليس ثمة شيء تقوم به هنا.»

«هل هذا السبب الذي يجعلك تعيشين بعيدة عن هنا مدة

طويلة، يا مارغريت، باستثناء عطلة العيد القصيرة؟»

«العمل هو الذي اجبرني على العيش بعيداً.»

«هذا غريب، فالعمل بالضبط، هو الذي جاء بي إلى هنا.»

«إلى متى ستبقى في إنشواتر؟»

منحها ابتسامة وقال: «كان لهذا السؤال ان يثير الزهو

في نفسي لو ان شيئاً من الكتابة فقط بدا عليك حين توجيهه.»

قالت بحدة: «انني لست معتوهة ساذجة يمكنك ان تعزيها

بكلامك المعسول، يا سيد ماغنوم.»

نهض وهو ينظر إليها قائلاً: «هذا مؤسف، فمن المؤكد

انني احب ان اغويك، يا مارغريت براونينغ، واطن ان بإمكاننا

نحن الاثنين، ان نتعلم كثيراً أثناء ذلك، إلى اللقاء.»

وقبل ان تتمالك نفسها من الذهول، كان قد ذهب.

(من المؤكد انني احب ان اغويك، يا مارغريت براونينغ).

جذبت نفسها عميقاً، لماذا ذلك... ذلك الذئب! أترأه يظن ان

بإمكانه ان يخدعها كما فعل مع تيمي..؟

وتساءل ماتيو بدوره عما إذا كان تجاوز الحد في

المزاح والإغاظه، فقد هزته لمحة الخوف التي رآها في

عينها حين قال تلك الجملة قبل ان يغادر المكان،

فمساعدته لمارغريت في ان تهتم بنفسها أولاً هو شيء

حسن، ولكن عليه ان ينتبه إلى ان لا يقع في الفخ الذي كان ينصبه، فقد كان في عينيها شيء دخل قلبه بشكل لم يحدث له بالنسبة لأي أمر آخر.

بعد ذلك بيومين دخلت مارغريت المطعم عند الظهر، فألقت نظرة على جينا ثم قالت: «ماذا حدث، يا جينا؟»

كان لون وجهها اصفر شاحب بينما اصبحت يداها في برودة الثلج: «انه الصغير، يريد ان يخرج.»

حدثت مارغريت نفسها بأن عليها ان تبقى هادئة، ثم سألتها: «هل انت واثقة من ذلك؟»

فأومات جينا تقول: «لقد تملكني ألم خفيف طوال الصباح فأهملته لأن وقت ولادتي لم يحن بعد، ولكنه اشتد الآن بشكل واضح.»

فقالت مارغريت بلهجة آلية: «لا تقلقي، كل شيء سينتهي على خير، سأخذك إلى المستشفى وأبقى معك إلى ان يأتي زوجك جاك.» والتفتت إلى الفتى خلف المنضدة. «ناد العمه جانيت يا بن.»

استلمت العمه جانيت العمل من جينا على الفور، وهي تلقي عليها باسئلة عن الألم، بينما ركضت مارغريت إلى الخارج حيث سيارة الأسرة التي تستعمل في الخدمات، إذ من الأفضل ان تبدأ بتحريكها قبل ان تصعد إليها جينا، ذلك ان هذه السيارة القديمة ترفض الحركة احياناً، وعندما لم تتجاوب السيارة معها، أخذت مارغريت تستعجلها: «هيا... هيا، لا تكوني عنيدة في هذا الوقت الحرج.»

«هل انت بحاجة إلى سيارة؟»

فأجابت: «انها جينا فهي تعاني آلام المخاض، والسيارة هذه

تأبى التحرك.» خرجت من السيارة وهي تقول: «أين سيارتك؟ هل يمكنك ان تأخذ جينا إلى المستشفى في غاريسون؟»
«انها هناك.»

كانت سيارة واقفة بجانب سيارتها، فقالت: «سأحضر اليك جينا.»

«ماذا؟ انني لن آخذ السيدة وحدها، يجب ان يكون معنا أحد في حال قررت الوضع في الطريق.»

فقالت بحدة وهي تهرع إلى الداخل: «سأتي أنا.»

قالت العمه لهم وهي تساعد جينا في السير إلى السيارة: «ليس ثمة ما يدعو إلى القلق، فالألم متباعد بصورة حسنة، والطريق إلى غاريسون لا يأخذ أكثر من عشر دقائق.»

جلست مارغريت في المقعد الخلفي بجانب جينا ثم أمسكت يدها محاولة تشجيعها: «انك ستصبحين على مايرام.»

أراحت جينا رأسها على مسند المقعد وأغمضت عينيها: «يا ليت جاك لم يكن خارج المدينة.»

فجمدت مارغريت في مكانها، هل تعني جينا ان زوجها لن يكون هنا للمساعدة؟ لم تكن عمتها ذكرت أي شخص آخر في أسرة جينا، وهذا يعني أن مارغريت هي الملجأ الأخير.

الفصل الرابع

ألقي ماتيو نظرة على جينا من فوق كتفه، ثم سألها: «أين جاك؟»

كانت أنفاس جينا قد انحسرت وموجة من الألم تكتسحها. كانت مارغريت تقول لها: «اجعلي أنفاسك قصيرة وسريعة.» وكانت تأمل أن تكون ارشادتها هذه صائبة، وعلى كل حال فهذا ما كانت سمعت الناس يقولونه على شاشة التلفزيون.

عندما ارتاحت جينا، عاد ماتيو يسألها: «هل تعلمين مكان ذهاب جاك؟»

«بارستو إلى فيغاس.»

«فهمت.»

حدقت مارغريت إلى ماتيو من الخلف وهي تكافح كي لا تضربه. فهي تشك في أنه فهم شيئاً، إنه لم يفهم حاجة جينا إلى وجود زوجها بجانبها، كلا ولا رعبها هي وجعلها.

كانت تريد أن تصرخ في وجهه أن هذا ما يحدث للرجال الذين يصبحون سائقي شاحنات. فأسرهم تتألم، وزوجاتهم خائفات وحيدات. والآن هل فهمت لماذا لا أريد هذا النوع من الحياة لتيمي؟

استمرت السيارة تنساب بهدوء في الطريق الذي يفصل بين انشواتر وغاريسون.

قالت جينا بصوت مشحون بالقلق: «إن الطفل مبكر عن مواعده، أرجو أن يكون صحيح الجسم.»

فسألها ماتيو: «إلى أي حد هو مبكر؟»

أجابت بصوت مرتجف: «أسبوعان.»

«ربما هناك خطأ في تاريخ الحمل. لقد حدث نفس الشيء لشقيقتي.»

بدا صوته في أذني مارغريت شديد الثقة، ولكنه ليس هو من يتألم، على كل حال.

كانت تدرك أنها أكثر الثلاثة عصبية وتوترأ، فهذه هي المرة الأولى التي ترى فيها امرأة في حالة وضع، لقد كانت تدربت على مواجهة الطوارئ بهدوء. فبإمكانها أن تتعامل مع صراع التلاميذ في الملعب، مع جروح الركبة حتى الكسور في اليد. ولكن هذا... هذا كان شيئاً مختلفاً، ولم يكن لديها فكرة عن نوع المساعدة التي عليها أن تقدمها إلى جينا.

نظرت مارغريت في عيني ماتيو مباشرة. وبابتسامة مليئة بالثقة غمز لها بعينه في المرأة أمامه.

«متى رآك الطبيب لآخر مرة يا جينا؟»

كان لهدوء ماتيو تأثير حسن على جينا، فابتسمت تجيبه: «لقد رأيت الدكتور ريدي الخميس الماضي، فقال إن كل شيء جيد جداً.»

فقال يطمئننها: «أرأيت؟ لا شيء يدعو إلى القلق.»

جلست جينا فجأة: «آه، كلا. لقد نسيت أن أحضر من بيتي حقيبة ملابس وملايس الطفل.»

«سأحضرهما لك بعد أن تستقري في المستشفى.»

وأوقف السيارة عند باب الطوارئ وقال: «انتظرا هنا إلى أن أجد شخصاً يحضر كرسيّاً ذا عجلات.»

ملأ ماتيو أوراق الدخول تبعاً لما أخذت جينا تزوده به

من معلومات، ومن ثم نقلت جينا بالكرسي إلى الداخل ومارغريت تهروول بجانبها وقد استبد بها القلق. بينما قرر ماتيو أن يذهب لاحضار الحقيبتين والعودة بهما بسرعة إذ ساوره احساس بأن المرأتين ستكونان بحاجة إليه في الساعات القليلة المقبلة.

تقدمت منهما ممرضة، فشدت جينا بقبضتها على يد مارغريت: «لا تتركييني.»

«كلا طبعاً.» وغاص قلب مارغريت رغم أن لهجتها بقيت مرحة. كانت لديها فكرة هي أن جينا تريدها أن تبقى بجانبها إلى النهاية، ليس في غرفة الانتظار، بل بجانبها هنا.

انتظرت في الردهة ريثما يفرغ الطبيب من فحص جينا وهي تتساءل إلى أين ذهب ماتيو.

«يمكنك أن تدخلي الآن.»

فدخلت مارغريت الغرفة. وكان يبدو على جينا، وهي مرتدية ثياب المستشفى، الخوف، ولكنها استطاعت أن تنظر إليها بابتسامة مرتجفة وهي تقول: «يقول الدكتور ريدي إن الوضع سيكون بعد حوالي الأربع ساعات.»

فقالت مارغريت، مستعينة ببعض الثقة التي كانت استعارتها من ماتيو: «حسناً، لا أظنهم سيسمحون لي بالبقاء إذا هم عرفوا مقدار جهلي بهذه الأمور.»

فقالت جينا: «لقد كان جاك قد حضر دروساً معي لمعرفة ما علينا أن نفعل في مثل حالتي، ذلك أننا كنا قد خططنا لنكون معاً عندما يحين وقت الوضع، فقد تقدم بطلب إجازة اسبوعين في آخر هذا الشهر.»

فقالت مارغريت مرغمة صوتها على البقاء مرحاً: «إن

استعدادك الجيد لحضور الطفل هو أمر حسن.» ولكن قلبها كان يتألم لأجل هذه المرأة الصغيرة. فقد كان على جاك أن يكون مع جينا وليس هي بجهلها هذا وعدم استعدادها.

«لم نكن مستعدين في الحقيقة، خصوصاً في البداية. فأنا وجاك، كما تعلمين، قد تزوجنا أثناء سنتنا الأخيرة في المدرسة. وكنا خائفين لأننا كنا دون مال ولا عمل ولا شيء

على الاطلاق. لقد كرهننا العيش مع أهلي. ثم نصحننا البعض بالبحث عن عمل في انشواتر، فجنئت بالحافلة ذات يوم بعد أن ذهب جاك للقيام بمقابلة بشأن عمل. ولحسن الحظ قبلتني

عمتك جانيت على الفور عندها بصفة مساعدة في المطبخ. لقد كنت شديدة الخوف من أن أخبرها أنني متزوجة خوفاً من أن لا تقبلني في العمل عندها، ولكن جانيت، بدلاً من ذلك،

أعطتني رسالة توصية بجاك ليأخذها إلى شحن بدوين. وكان ماتيو في المدينة في زيارة قصيرة، فقابله وأعطاه العمل حتى انه دفع لجاك نفقات دخول مدرسة قيادة

الشاحنات في بارستو. كان الأمر أشبه بالحلم. إذ فجأة أصبح لدينا كل شيء، المال، والعمل، والضمان الصحي، وأحسن شيء هو أننا وجدنا مكاناً نسكن فيه في انشواتر.»

«إنني مسرورة لتحوّل أموركم بهذا الشكل الجيد.»

فقالت جينا بجد: «ليس كل المراهقين محظوظين بهذا الشكل، لقد عدت إلى مدرستي في غاريسون حيث ألقيت محاضرة على التلاميذ شاركهم فيها بقصتي، يا ليت كان البعض قد أطلعنا على الحقائق بنفس الطريقة التي أطلعتهم

أنا عليها. فالحب وحده لا يكفي لمواجهة الحياة إلا إذا كان هناك العلم ووسائل العيش.»

وسكتت جينا تسال مارغريت: «هل ضجرت من كلامي؟»
هزت هذه رأسها نفيًا. فالحديث كان أفضل من الصمت
في انتظار الوضع.

قالت جينا والتصميم في عينيها: «إنني سأتابع دراستي
لأحصل على شهادتي الثانوية وذلك بعد الولادة، وبعد ذلك
سأدرس مهنة السكرتارية. لن أدع أولادي يقفون عائقاً في
سبيل الحصول على شهادتي الثانوية.»

قالت هذا ومالت إلى الأمام، بعد أن فاجأها ألم آخر، وهي
تتأوه، فأخذت مارغريت تدعك لها ظهرها متمنية لو تستطيع
أن تفعل أكثر من ذلك. لقد كانت الممرضة طلبت منهما توقيت
تتابع الأكم. وهكذا نظرت في ساعتها، وكانت الثانية والرابع.
المررة التالية جاءت بعد ربع ساعة. وكانت قد انتهت لتوها
عندما دخلت الممرضة وهي تسال ببشاشة: «كيف الحال؟»

أجابت مارغريت بضعف: «ربع ساعة بين الاثنين.»
«هذا حسن.» وتقدمت الممرضة تمسك بمعصم جينا
تقيس النبض، ثم نظرت إلى مارغريت قائلة: «السيد الذي
أحضركما إلى هنا هو في الخارج ويريد رؤيتك.»
فقالت جينا: «ماتيو.»

وعلى الفور، لاحظ ماتيو مبلغ شحوب مارغريت. قال
باسمًا: «لقد أحضرت حاجيات جينا، كي حالها؟»
«في منتهى الأكم، ولا أعرف ما أفعل لها.»
«يمكنني أن أساعدها.»

«أنت؟» وأدهشه الغضب في عينيها وهي تنظر إليه. «لا
تقل بأن إدارة امبراطورية شحن يترك لك وقتاً تتعلم فيه
التوليد أيضاً.»

فقال بهدوء: «الأمر بسيط، فقد ذهبت مع شقيقتي سوزان
لحضور دروس في التوليد لأن زوجها الذي يخدم في
الجيش كان غائباً في عمله.»

وإذ خرجت الممرضة من الغرفة، قالت مارغريت: «عليّ
أن أعود إلى جينا.»

فقالت الممرضة: «لقد أخبرتها أن ترتاح فترة، لماذا لا
تذهبان فتأكلان شيئاً قبل أن تعودا إلى هنا؟ إنني سأراقبها
في تلفزيون مراقبة المرضى في مكتب الممرضات.»

نظرت مارغريت إلى الغرفة مترددة: «لا أريد أن أتركها.»
فقال ماتيو يطمئنها: «ستكون على ما يرام، وبعد أن
نأكل سادخل معك إلى غرفتها.»

فقالت الممرضة: «يمكنكما أن تكونا معاً في الداخل الآن،
ولكن فيما بعد لن يسمح الطبيب إلا لواحد بأن يكون معها في
غرفة الولادة، سأترك أنا ثوباً وقلنسوة وكمامة في الخارج.»
جمدت مارغريت في مكانها وهي تسمع ضحكة ماتيو
وهو يقول: «إنني أدرك مقدار رغبتك في أن تكوني موجودة
معها، يا مارغريت. كفاك إظهار هذا القلق. إننا سنلقي قطعة
نقود في الهواء مقترعين على من يدخل إليها ولكن بعد أن
نأكل أولاً.»

يبدو أنه كان يعرف المكان لأنه أخذها مباشرة إلى حيث
كافيتيريا المستشفى. وكانت هي تفكر بعجب كيف أن هذا
الرجل يعرف كل مكان وكل شخص.

قال ماتيو وهو ينظر إلى اللوح الملتصق على الجدار:
«الطبق اليومي هو الروستو. ويأتي بعد ذلك السمك
والبطاطا المقلية، ثم الدجاج.»

لم تكن مارغريت قد تناولت طعاماً منذ الصباح، ولكنها لم تكن جائعة، فتناولت ابريق الكاكاو قائلة: «هذا كل ما أريده الآن.»

فقال عابساً: «ستشعرين بتحسن إذا أكلت شيئاً.»

«سأكل فيما بعد.» عندما ينتهي كل شيء. عندما تتأكد من أنها لن تصبح سخرية للآخرين بالإغماء أو التقيؤ. وحملت كوب الكاكاو وتحولت إلى المحاسبة لتدفع الثمن، وسرعان ما تذكرت أنها لا تحمل حقيبة يد. فتملكها الذعر والتفتت إلى ماتيو: «ليس لدي نقود.»

«إن لدي ما يكفينا نحن الاثنين.»

وإذ وقعت عيناها على مائدة خالية قرب النافذة، أسرعت إليها حيث جلست محاولة أن تبعد المسافة بينها وبينه قدر المستطاع.

«مرحباً، يا مارغريت.»

رفعت بصرها فرأت جو غرينر في معطفه المهني الطويل ما بدا معه مختلفاً جداً عن جو القديم زميلها في الثانوية.

«جو، ما أجمل أن أراك. ألا تجلس معنا؟»

وكان هذا حلاً ممتازاً، فإن عفوية جو كفيلة بأن تبدد أي توتر في الجو، سواء كان حقيقياً أم خيالياً، وذلك بينها وبين ماتيو ماغنوم.

ساورها شعور بأن ماتيو خلفها، فتابعت تقول: «اضطربنا، أنا والسيد ماغنوم، لاحضار امرأة إلى المستشفى. إنها في المخاض.»

«مرحباً يا ماتيو.» وانتظر جو إلى أن وضع ماتيو الصينية على المائدة، ثم تصافحا.

قال جو: «هل المرأة التي أحضرتماها للولادة هي جينا؟» فسألته مارغريت بدهشة: «هل تعرف جينا؟»

«إن جينا وباك مستأجران الشقة العليا عندي. ولكنني سأنتقل إلى مكانهما وأعطيتهما الشقة السفلى حيث أنها ستضع طفلها.» ثم وقف وهو يتابع: «أرى أن أصعد وأجلس معها فترة، ولهذا لا تسرعا بتناول طعامكما.»

فابتسمت مارغريت: «شكراً يا جو.»

عندما ذهب، سألها ماتيو: «هل تعرفين جو منذ مدة طويلة؟» وعجب لاهتمامه لمعرفة جوابها.

فأجابت: «طوال حياتي، فقد كنا في المدرسة معاً.»

«هل بينكما حب؟»

فوضعت كوبها بعنف: «ماذا قلت؟»

أجاب بهدوء: «القصة المعروفة في المدرسة الثانوية يلتقي الأحاب، ثم تشتعل العواطف.»

فقالت بحدة: «هذا ليس من شأنك.»

«كنت فقط أتساءل عما يجعل جو يسكن في انشواتر.»

وعلى الفور، اندفعت تدافع عن جو: «إن جو هو شخص رائع، فهو سهل المعشر، مستعد على الدوام لإصلاح سيارة أي إنسان، ودوماً على استعداد لمُد يد المساعدة، ولكن كونه راضياً بالعيش في انشواتر لا يعني أنه إنسان فاشل.»

فقال ماتيو: «لا حاجة بك لهذا الكلام، يا مارغريت

وكأنني أهاجمه، فانا أحب جو غرينتز.»

«تحبه؟»

«ما الذي يجعلك تظنين انني أشعر بأن كل من يختار العيش في انشواتر هو إنسان فاشل؟ فالنجاح ليس في اكتساب

الملايين أو في رضا العالم عنه، إنما في الرضى عن النفس والقناعة، وجو يعيش مسالماً للعالم أجمع لأنه يحتوي على هاتين الصفتين، كثير من الناس يدفعون نقودهم للأطباء النفسيين لكي يعلموهم كيف يسرون في حياتهم.»

«آه...» وبعثت كلمات ماتيو هذه الهدوء في نفسها. قالت بعد لحظة: «ولماذا هذا الحديث عن جو؟»

فنظر ماتيو إليها، إن الحافز الذي يدفعه إلى تنبيهها إلى أن لديها حياتها الخاصة التي عليها أن تعيشها، قد أصبح أقوى مما كان، أكد لنفسه أن هذا فقط لأجل تيمي، رافضاً التفكير في الأسباب الأخرى والأكثر عمقاً.

أجاب: «إنني فقط أريد أن أتأكد من أنني لا أزاحم أحداً.» «ماذا تعني بذلك؟» ورفعت كوبها إلى شفيتها رغبة في الاختفاء من عنف نظراته.

«أعني أنني أريد أن أغازلك.»

صدمت مارغريت بكلامه هذا، وجعلها هذا تقح بعد أن نزل الكاكاو في غير مكانه الطبيعي: «ماذا قلت؟»

مضغ طعامه قبل أن يقول بهدوء: «إنك فتاة قديمة الطراز، يا مارغريت ولهذا قررت مغازلتك على الطريقة القديمة.»

فعدت تقح مرة أخرى، فقال برقة: «اشربي شيئاً من الماء، نعم يا مارغريت. لقد كان أول رأيي فيك خاطئاً. لا أظن علاقة غرامية تناسبك، ولهذا قررت مغازلتك.»

إنه يسخر منها مرة أخرى... يغيظها. واشتعل غضبها: «لماذا أنتم الرجال متعصبون...»

«مطلوب من الأنسة براونينغ... مارغريت براونينغ، أن تعود إلى قسم الولادة.»

واخترق ذلك الصوت الهادئ غضبها الملتهب فاندفعت إلى الباب قبل أن تدرك أنه بجانبها، فالتفتت إليه بسرعة: «لا ضرورة لمجيئك، تابع تناول طعامك.»

قال وهو يسير بجانبها: «ساكل فيما بعد، لقد كنت أخبرتك بأنني كنت تلقيت دروساً في التوليد، ويمكنني المساعدة.» وقالت لهما الممرضة عند باب غرفة جينا: «إن جينا تشعر ببعض التوتر. ولدينا امرأتان على وشك الولادة في أي وقت، ولنقص الممرضات عندنا، لا يمكنني أن أجعل عندها ممرضة خاصة تلازمها. وهذا هو السبب في ندائي لك...» فقال مارغريت: «شكراً.»

«إنني كنت أخذت دروساً في التوليد مع أختي السنة الماضية، فإذا كان بالإمكان...» وتلاشت الأصوات عندما دخلت مارغريت الغرفة مغلقة الباب خلفها.

وقف جو وقد بدا الارتياح على وجهه: «ها هي ذي مارغريت هنا.»

نظرت إليها جينا بعينين مذعورتين: «تقول الممرضة إنه ما يزال أمامي ساعتان تقريباً.»

فقال مارغريت وهي تلتقط خرقة مبللة أخذت تمسح بها وجه جينا وعنقها وذلك بيدين ترتجفان قليلاً: «لقد قرأت مقالة تقول إن الأم التي تلد للمرة الأولى، تأخذ وقتاً أطول من غيرها.»

قال جو وهو يخرج من الغرفة بسرعة: «سأراكما فيما بعد، لا تضحكا كثيراً. ولولا نداء العمل لبقيت معكما.»

أصلحت مارغريت من وسادة جينا وهي تقول باسمه: «إن حالتك أحسن كثيراً.»

«جينا، هل سبق وأخبرتك عن الوقت الذي اكتشفت فيه أختي سوزان أنها كانت حاملاً؟» كان ماتيو قد دخل الغرفة بكل ثقة وسيطر على الموقف وهو يقف في الجانب الآخر من سرير جينا.

ولم تملك مارغريت سوى الاعتراف بأن بعض توترها قد فارقها لمجرد وجوده.
أجابته جينا: «كلا».

«كان بيت، صهري، قد عينه الجيش في الخارج في نفس الوقت الذي اكتشفت فيه سوزان أنها حامل، فخابرتة في الحال طالبة منه القدوم على الفور. لم يكن ثمة طريقة تجعلها تقبل الولادة وحدها، وعندما أخبرها بيت أنه لن يتمكن مطلقاً من ذلك، جلست سوزان وكتبت رسالة مؤلفة من خمس صفحات إلى مكتب القيادة تخبره برأيها في القوانين التي تفرض على زوجين أن يكونا مفترقين في حالة كهذه. فإذا لم يرسل بيت إلى بيته في إجازة لأن زوجته ستضع، فهي ستذهب إلى هناك لتضع طفلها هذا.»
فانفجرت جينا ضاحكة، وابتسم ماتيو، بينما اضطرت مارغريت إلى الإشاحة بوجهها بعيداً عن تلك الغمازة العميقة في ذقنه.

وتابع هو يقول برزانة: «وأخيراً اعتادت على وضعها كحامل، ولكن هذا استغرق تسعة أشهر كاملة. ومن حسن حظ سوزان، وباتريسيا، أختي الثانية، وحظي أن بيت جاء قبل شهر كامل من موعد الولادة.»

صرخت جينا وهي تميل إلى الأمام: «أوووه...» وقبل أن تتمكن مارغريت من الحركة، كان ماتيو قد وضع ذراعه

حول كتفها: «استرخي الآن. خذي أنفاساً قصيرة، واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، والآن، مرة أخرى، إنك رائعة.»
ودخلت الممرضة تقول إنها تريد أن تبقى عدة دقائق وحدها مع جينا.

«ها نحن خارجان حالاً.» خرجت من الباب يتبعها ماتيو، وعندما سمعته يُغلق خلفهما، استدارت إليه تقول: «لو لم يكن جاك سائق شاحنة لكان هنا الآن.»

«ولكن هناك أعمال كثيرة تمنع الرجال من أن يكونوا مع زوجاتهم في الأوقات المهمة. ماذا بالنسبة إلى قوات الجيش؟» فرددت قولها بعناد: «كان بإمكان جاك أن يكون هنا. فهو لا يدافع عن الوطن أو عن حقوق الانسان، وإنما فقط يقود شاحنة غبية في مكان ما.» لقد عاد إليها كل شيء...
الأم القديم والمرارة. عندما وقعت في طفولتها وخيبت ركبته ثلاث قطبات، ولم يكن والداها موجودين، تلك الليلة التي ألهبتهما فيها الحمى نادت والديها لكي يضمّاهما. أحياناً كانت أمها في البيت ولكنها كانت تخرج مع أبيها كلما سنحت لها الفرصة.

«أظنن أن جينا كانت تفضل وجود زوج بجانبها دون عمل أو مال، أم زوج يستطيع توفير كل شيء لها ولطفلها، ولكنه لا يستطيع أن يكون دوماً بجانبها؟»

كان الحق معه طبعاً، وإذ لم تستطع أن تقول شيئاً، فقد اتكأت على الجدار بكل بساطة، إنها تريد أن توفر قوتها لما سيأتي، أغمضت عينيها مرغمة نفسها على التنفس بعمق. محاولة أن تستعيد صورة ذهنية واضحة ولكن كل ما استطاعت رؤيته هو وجه جينا متقلصاً من الألم.

قال ماتيو: «إنها نيران مشتعلة، ولا أدري إذا كانت تكمن فقط في شعرك.»

فتحت عينيها فجأة وإذا بها تراه يفرك خصلة من شعرها بين أصبعيه.

وعندما تلاقى نظراتهما، شعر ماتيو بتيار كهربائي يجري بينهما، وأنبأه الذعر البادي في عينيها أنها شعرت به هي أيضاً. قد لا تكون تريده، ولكنه كان موجوداً حتماً. «إنك تحاولين الظهور وكأنك مسيطرة دوماً على أعصابك، أليس كذلك يا مارغريت؟ ولكن عينيك وشعرك يفضحانك، فالعينان تقولان بأن الحنكة التي تتظاهرين بها إن هي إلا سطحية جداً، بينما شعرك يدل على نيران تضطرم في نفسك.»

فتح الباب وقالت الممرضة: «يمكنكما الدخول الآن، إنها بأحسن حال.»

«السيد ماغنوم!»

التقت مارغريت وإذا بها ترى شاب يسرع في ممر المستشفى نحوها ثم يقبض على اليد القوية التي امتدت إليه: «كيف حال جينا؟»

حدقت مارغريت إلى القادم، لا بد أن هذا هو زوج جينا. من أين تراه جاء؟

أجابه ماتيو وهو يفتح له باب الغرفة: «إنها في أحسن حال، انظر بنفسك.»

فدخل جاك والممرضة تسأل: «أهو الزوج؟»

فأوما ماتيو برأسه: «نعم.»

وسمعا جينا تهتف: «جاك... أوه، جاك.»

«هل أنت بخير يا حبيبتني؟»

أغلق ماتيو ماغنوم الباب برفق، تاركاً الزوجين وحدهما.

وابتسمت الممرضة لهما: «والآن، أي أعجوبة حصلت؟ إننا في هذه المدينة نحب النهايات السعيدة.»

وعندما ابتعدت، سألت مارغريت ماتيو: «كيف جاء؟» «لقد خابرت موقف الشاحنات، فاتصل الرجال بالإذاعة المحلية التي خابرتة بالراديو، وأظن رغم أنني غير واثق بعد، أن قائد شاحنة آخر لا بد عرض عليه أن يوصله عائداً به إلى هنا. أرجو أن لا تكوني أصبت بخيبة أمل شديدة لأن مساعدتك لم تعد ضرورية.»

حدقت في ماتيو، متجاهلة المزاح في عينيه. «وماذا بالنسبة إلى شاحنة جاك؟»

«أوقفت في مكان ما بأمان إلى أن يصل إليها سائق آخر.»

«وماذا بالنسبة إلى جدول مواعيده؟ ألا يتأخر ويدفع تعويضاً عن ذلك إذا هو لم يصل في مواعده؟»

«ما هذا التغيير المفاجيء في مشاعرك؟»

«قد لا يعجبني كون جاك سائقاً، ولكن أمره يهمني بصفته شخصاً. إنه قد يخسر عمله الجديد الآن، وبعد أن أصبح لديه مسؤولية طفل.»

«كفى قلقاً، يا مارغريت، فجاك لن يعاني من شيء. فإذا وجهت أي أسئلة فهي موجهة إلى شحن بدوين وليس إلى السائقين، ولا بد أن أحد رجالي قد استلم الأمر الآن وسيقوم بعمل جاك عنه.»

«كيف؟»

«إنه سيذهب في أي شاحنة ذاهبة في ذلك الاتجاه، ثم ينزل بجانب شاحنة جاك ويكمل الطريق عنه.»

«ألا تمنع أنت في تركه لشاحنته بذلك الشكل؟»

«ولماذا أمانع؟ فالرجل لا يستطيع حضور ولادة طفله كل يوم. وولادة هذا الطفل ستعلن من الإذاعة المحلية قبل أن يطلع الصباح. فنحن السائقون متعاونون تماماً. وأراهن الآن على أن هناك تهاني كثيرة أرسلت إلى جاك وجينا على أمواج الأثير.»

سألته: «ما الذي جعلك تسمي شركتك شحن بدوين؟»

لم تكن تتوقع أن ترى ما ارتسم في عيني ماتيو من تعبير مظلم: «لقد أطلقت على شركتي اسم الرجل الذي قلب حياتي رأساً على عقب.»

فأومات مارغريت برأسها، مدركة أنه لا يريد أن يتحدث عن هذا الموضوع أكثر من ذلك.

سألها بعد صمت قصير: «ماذا ستفعلين الآن بعد أن لم يعودا بحاجة إلى خدماتنا.»

نظرت مارغريت في ساعتها. كانت الساعة الرابعة تقريباً. فإذا كانت تكهنات الممرضة صائقة، فالطفل لن يولد قبل السادسة. وقررت أن تبقى في هذا المكان إلى ذلك الوقت. فقالت: «إنني صاعدة إلى الطابق العلوي لزيارة صديقة لي تعمل في مكتب الاستقبال. لقد كانت هيلين سواتشي زميلتي في نفس المدرسة، لا تنتظرني، فسيوصلني جو إلى البيت.»

فأوماً قائلًا: «هذا حسن.»

في المصعد، حاولت مارغريت أن تستشف شخصية ماتيو ماغنوم الحقيقية، فقد رأت عدة جوانب منه هذا النهار. روح الفكاهة، وذلك بإغاظته لها مازحاً، وما حكاها عن شقيقتيه، الرقة وذلك بمساعدته جينا على اجتياز الامها، تفهم مخاوفها هي ولا سيما رغبته في أن تنتبه إلى نفسها واحتياجاتها، وأن تنتبه إلى حياتها قبل أن يفوت الأوان. تنفست مارغريت بعمق، كان ماتيو ماغنوم أشبه بتيار قوي جعلها تشعر بنفسها ملتصقة به بالرغم عنها. وفتح باب المصعد، فحدقت مارغريت ذاهلة قبل أن تدرك أنه الطابق الذي تقصد، فاستجمعت أفكارها المشتتة، ثم اتجهت إلى المكتب الذي تعمل فيه صديقتها.

بعد ساعة ونصف، دخلت مارغريت غرفة الانتظار وما لبثت أن وقفت فجأة، فقد نهض ماتيو ماغنوم من على الأريكة الجلدية التي كان جالساً عليها، وقال: «ها أنت ذي قد جئت.» قال ذلك وكأنها كانت طلبت منه أن ينتظرها. فقالت بحدة، شاعرة بالغضب لدى رؤيته: «نعم، كيف حال جينا؟»

«لقد انتهى كل شيء. وضعت طفلة أنثى، وهي في الغرفة رقم ١١٠.»

فابتعدت وهي تقول: «سأذهب لرؤيتها.»

أوقفتها يد استقرت على كتفها: «ليس وأنت في مثل هذا المزاج. ماذا حدث؟ تبدين كالسحاب المثقل بالرعد.»

فقالت وهي تتمالك نفسها: «لا شيء، لماذا ما زلت هنا؟»

وتساءل ماتيو عن السبب الذي يجعلها متوترة دوماً معه، فقال ببساطة: «كنت في انتظارك، لأن جو يقوم بدوامين،

وهكذا لن يكون بإمكانك العودة معه بسيارته قبل صباح الغد.»
 فقالت بحدة: «إنني أعرف كيف أعود إلى البيت.»
 فتساءل كم مضى من الوقت على آخر مرة سمحت
 مارغريت فيها لأحد بأن يهتم بها.
 أدارها نحو الباب، ثم أطلقها قائلاً: «انذهبي وزوري
 جينا، فقد تتحسن لرؤيتك.»

طرقت مارغريت الباب ودخلت. كان الارهاق يبدو على
 جينا واضحاً، ولكن عينيها كانتا تتألقان بالسعادة. وكان
 جاك جالساً على السرير بجانبها وهو يبتسم زهواً.
 «تهانئي إليكما.»

«هذا هو زوجي جاك، يا مارغريت، جاك هذه مارغريت
 ابنة أخ جانيت والتي كنت حدثك عنها. هل رأيت ابنتنا
 ميكي يا مارغريت؟»

«كلا.» وانحنت تقبل وجنة جينا.

قال جاك بزهو: «إنها رائعة، ثلاثة كيلو غرام ونصف،
 أشكرك لمكوئك بجانب جينا.»

فقالت: «ولكنني لم أفعل لها شيئاً، في الواقع، كنت خائفة
 أكثر من جينا.»

قالت جينا باسمه: «كنت أعرف أنك كنت كذلك ولكنك
 ساعدتني كثيراً، فمعرفتي بأنك كنت خائفة ومع ذلك لم
 تتركيني، جعلتني أشعر بتحسن كبير، فقد كان خوفي من
 الوحدة أكثر مما كان من الأكم.»

تحدثا قليلاً بعد ذلك قبل أن تخرج مارغريت، وخارج
 غرفة الأطفال، توقفت وأخذت تنظر إلى مهود الموالييد
 الجدد من خلف الزجاج، والتي كانت مصفوفة بجانب

النافذة. أربعة ذكور وأنثى واحدة. كانت ميكي في مكان
 الشرف في الوسط، في مهد وردي. حدثت مارغريت إلى
 الجلد الناعم والشعر الخفيف الأسود، وشهقت تهم بالبكاء.
 جاءها صوت من خلفها: «شيء رائع، أليس كذلك؟»
 «ماذا؟» كيف يسمي ماتيو ماغنوم أجمل طفلة في العالم،
 شيء؟

وعاد يقول: «أعني جمال الخلق هذا.»

فاستدارت نحوه مدهوشة، وقد حيرها حسن اختياره
 للكلمات. وعندما التقت نظراتهما شعرت بالتوتر يملكها،
 ولمعت عينا ماتيو بنفس الشعور. لقد أصبحا، ولثوان
 قليلة، رجلاً وامرأة تساورهما رغبة واحدة.

سمعته يقول لها وقد لمعت عيناه مكرأ: «فلنخرج قبل أن
 يظن المستشفى أننا مقيمان هنا بصورة دائمة ويطلبون منا
 دفع أجرة لذلك.»

الفصل الخامس

تساءل ماثيو ماغنوم، وهو يعمل في مكتبه متأخراً في تلك الليلة، عما يجعل مارغريت لا تبارح خياله. فهذا لم يكن جزءاً من خطته. وحاول ان يحلل سبب شعوره هذا. وأخيراً نبذها من ذهنه معتبراً إياها نزوة عابرة نتيجة الاحداث التي رافقت ولادة الطفلة، ثم حاول ان يركز انتباهه على الكمبيوتر امامه.

خرجت مارغريت في الصباح التالي في نفس الوقت الذي كان تيمي فيه خارجاً من غرفته.

«مرحباً.» حيته مارغريت بذلك وهي تلاحظ جرح حلاقة ضئيل على وجنة شقيقها، وكان شعره مبتلاً.

«صباح الخير.»

ابتسمت مارغريت، فهي وعمتها تستيقظان باكراً عادة وذلك بعكس تيمي.

اثناء هبوطهما السلم، سألته: «كيف كان العمل أمس؟»

«لا بأس.»

«أتحب ان تخرج للتسوق اليوم بعد فراغك من العمل؟» وتجاهلت اللهجة الحذرة في صوته، لقد كانت لاحظت ان بنطلونه الجينز قد اصبح رثاً للغاية، كما ان قمصانه تكشف عن معصميه النحيلتين، وكانت تتابع قائلة: «يمكننا التسوق في غاريسون، وقد نتوقف لنرى فيلماً ثم نتناول شيئاً نأكله.»

«لا استطيع. ان السيد ماغنوم يريد ان يريني هذه الليلة

كيف أغير إطار عجلة الشاحنة. أراك فيما بعد يا مارغريت.» وقبل ان تسأله عما يريد ان يأكل، كان قد خرج فأخذت تحديق في أثره بجمود وقد سرت في كيانها قشعريرة باردة، ما الذي يحدث بينهما؟ ان تيمي لم يكذب ينظر اليها.

دخلت المطبخ وقد قررت ان لا تقلق عمتهما بذكر تصرف تيمي الغريب، ان عليها ان تتفاهم جيداً مع تيمي في أقرب وقت ممكن، وتجعله يفهم سبب خوفها عليه من عمله الجديد. كانت تعلم ان اقناعه واستمالته اليها، لن يكون عملاً سهلاً، خصوصاً وماتيو ماغنوم ثابت بجانبه.

وفي طريقها إلى المستشفى ذلك المساء لكي تزور جينا أخذت تفكر في كل ما حدث منذ اليوم الأول لإجازتها، كان عليها ان تعثر على طريقة تجتمع فيها مع تيمي بالرغم من ماتيو ماغنوم.

دهشت جينا لدى رؤية مارغريت، وقالت محتجة: «ما كان عليك أن تأتي.»

فأجابت مارغريت: «لكنني انا أريد ذلك.» وكان جاك قد توقف عند المطعم هذا الصباح ليخبر العمه جانيت ومارغريت بأن جينا لن تخرج من المستشفى هذا النهار كما كان مقرراً وذلك بسبب ارتفاع ضغطها، ما جعل الطبيب يقرر إبقاءها طوال عطلة الأسبوع.

سألتهما جينا باسمه: «هل يعجبك العمل في المطعم؟» فأجابت مارغريت بمرح: «لقد استأجرت عمتي موظفتين أمس، وهكذا عدت أنا دون عمل الآن، ان المرأتين هما زوجتا سائقي شاحنات. ويبدو ان ماتيو هو الذي أرسلهما، لقد ساعدتها في جرد قائمة الأطباق هذا النهار، ولكنني

اظنها اعطتني تلك المهمة فقط لكي اشعر بأنهم بحاجة إليّ، كيف حالك؟ هل اشتقت إلى بيتك؟»

فأومات جينا باسمه: «اتعلمين ان جو قد اعطانا الطابق الأسفل من منزله؟ أليست هذه شهامة منه؟ قال ان ذلك اكثر أمناً بالنسبة للطفلة وأقل إرهاباً لي، كما ان السيد ماغنوم كان رائعاً هو أيضاً، فقد أعاد جاك إليّ وإلى ميكي.»

سألتها مارغريت بسرعة: «وأين جاك؟»

بدت على وجه جينا مسحة قلق وهي تقول: «لقد مر جاك بي لحظة قصيرة هذا الصباح إذ ان عليه ان يذهب إلى لاس فيغاس هذا المساء ومن هناك سيتابع إلى فينيكس، انه سيعود بعد غد، ومن ثم يبدأ إجازته، لقد نظف الشقة ونقل كل اثاثنا إليها، وذلك قبل ذهابنا انا وميكي، ولكن هذه لم تكن رغبتني، فقد كنت اخترت دهاناً لغرفة ميكي من محل جنسن هاردوير.»

تناولت مارغريت الطفلة من والدتها واخذت تربت على ظهرها، وعند ذلك خطرت في بالها فكرة، انها ستدهن غرفة ميكي بنفسها، وسيكون في هذا هدية الولادة منها للطفلة. قالت جينا: «لقد كان جاك يتحدث مع احد السائقين الذين عملوا مع شركة شحن بدوين منذ انشائها، هل تعلمين ان السيد ماغنوم هو مليونير؟ من كان يظنه بهذه الأهمية؟ أعني انه لا يتعالى علينا أو يظهر سلطته.»

فقالت مارغريت: «لم اكن اعلم انه بهذا الثراء، لا بد ان العمل في الشحن مربح جداً.»

اومات جينا برأسها: «ليس هذا فقط، فقد ورث اموالاً عن والده، فأسرتة تملك شركة سفن.»

بعد ذلك بنصف ساعة، نهضت مارغريت قائلة: «عليّ ان اذهب الآن، فسيارتنا معطلة وقد جنّت في الحافلة.»

«وكيف ستعودين؟»

«بنفس الطريقة التي جنّت بها، الحافلة.»

كانت افكارها منحصرة في ما قالته جينا، لم تستطع ان تتصور ماتيو ماغنوم مليونيراً، وفكرت في ملابسه، وتصرفاته، حتى محفظة نقوده الرثة، كل ذلك يشير إلى انه رجل عادي تماماً.

«مرحباً، مارغريت.»

التفتت لتجد نفسها تنظر مباشرة في زوج من الأعين الخضراء الساخرة، وحدثت نفسها بأن الاضطراب الذي تملكها الذي رؤيته ما هو الا نتيجة لظهوره المفاجيء امامها. كان ماتيو يحمل نبتة ضخمة في أصيص، ويبدو انه كان في انتظار المصعد الذي كانت خرجت منه لتوها.

قال لها: «هل تسمحين بدقيقة؟»

فسألته: «ماذا تريد؟»

«لقد قالت عمك انك لن تقومين بشيء في المطعم الآن بعد ان استأجرت امرأتين، وانا بحاجة إلى من يساعدني في تنظيم بعض الملفات، فهل تحبين ان تقومي بوظيفة مؤقتة؟»

«لا اظنك جاداً فيما تقول.»

«بل أنا جاد، فأنت عادة تعملين اثناء الصيف وانا لذي وظيفة شاغرة في المكتب.»

عجبت مارغريت لعدم استطاعة ماتيو تفهم مدى كراهيتها للشحن وما يتعلق به، فقالت: «ربما انت لا تدرك انني لا اريد التعامل مع الشحن، لا أريد ذلك أبداً.»

فقال بإصرار: «ان هذا يمنحك فرصة ترين فيها كيف يسير العمل، وبالتالي سرعان ما ترين ان لا شيء هناك يحمل على الخوف.»

فرفعت رأسها تقول بحزم: «لن اشتغل عندك كما انني لا أريد ان اغير قناعتني بالنسبة للشحن.»

نظر ماتيو اليها، ثم هز كتفيه: «حتى ولا تجربة بسيطة لأجل جانيت وتيمي؟»

ثم أشاح بوجهه تاركاً مارغريت شاعرة بأنها طفلة في الثالثة قد أبدت ثورة غضب مفاجئة لا معنى لها، وخرجت من المستشفى وهي تعض شفتها غضباً، في كل مرة تصادف فيها ماتيو ماغنوم، يجعلها بهذا الشكل من الإضطراب والغضب والإنزعاج.

أدرك ماتيو، وهو ينتظر المصعد، انه لم يعالج الأمر معها جيداً، شعر بأنه كان يقصد منح مارغريت عملاً أكبر مما كان يرغب في مساعدة جانيت وتيمي، وكان يظنها ستهافت على هذا، ولكن هذا لم يحصل.

كان يرجو ان تقوم بالعمل عنده، فهذا سيسهل من تبديد كراهيتها لعمل تيمي في مجال الشحن. والآن عليه ان يفكر في شيء آخر.

لن يكون من السهل ان يجعل مارغريت تفهم السبب الذي يجعلها تترك تيمي وتهتم بحياتها هي، لقد اضاف صفة العناد إلى القائمة التي سجل فيها صفاتها، لقد كان في رأس تلك القائمة الميزات الحسنة المعروفة مثل النزاهة والصدق والصراحة، وقد لا تكون هذه الصفات غير عادية في إنشواتر، ولكن في العالم الذي نشأ فيه ماتيو كانت هذه

الصفات قد اندثرت تقريباً، وهذا ما جعل مارغريت في عينيه مختلفة عن كل النساء اللاتي عرفهن.

وتوترت شفتاه وهو يفكر في ذلك الجانب من حياته، لقد كان تصميمه على ان لا يتبع خطى والده لا يتوقف على العمل الذي كان يقوم به والده أو طريقة حياته، فقد امتد إلى النساء أيضاً، ومع ان الوالد كان قال مرة لابنه ماتيو ان هذه هي الطريقة الوحيدة التي تسعدهن، إلا انها لم تنجح معه، وفي كل مرة تفككت فيها علاقة له، كانت تتركه محطماً، ومع ذلك فهي لم تعلمه قط ان يكون حريصاً في المرة التالية أو تمنعه من ان يقحم نفسه في علاقة جديدة وذلك في أسرع وقت ممكن، وكان ماتيو وشقيقته فقط هم الذين يعلمون باكتئاب والدهم، والأوقات الطويلة التي كان يمضيها في المصح في سويسرا، بينما كل شخص كان يظنه يمضي عطلة في الريفيرا في فرنسا.

لقد كان ماتيو قد قرر، منذ وقت طويل، ان لا يدع امرأة تسيطر عليه، انه لن يمنح أي واحدة تلك السلطة التي ترافق الثقة والحب، وتوقف المصعد، فدخل إليه واخذ يحدق في بابه اللامع وهو ينغلق.

كان متجر جنسن هاردوير لا يبعد سوى ما يقارب المائة متر عن المستشفى، وكانت مارغريت قد وصلت إلى هناك خلال عشر دقائق، كان صاحب المتجر على علاقة وثيقة بعمتها جانيت، لذا كان سروره كبيراً لرؤيتها، تحدثا فترة عن واشنطن وعن عمل مارغريت، وعندما تطرق الحديث إلى العمل تذكر بالطبع الدهان الذي كانت جينا قد اختارته،

وطلبت منه مارغريت ان يمزج غالونين بينما تحضر هي ورق الزجاج وعدة الدهان، كانت تدور في انحاء المتجر عندما سمعت السيد جنسن يقول: «صباح الخير يا سيد ماغنوم، بماذا يمكنني ان اخدمك؟»

كان أول ما فكرت فيه هو التراجع إلى مؤخرة المتجر كيلا يراها.

وناداهما السيد جنسن بعد ذلك بدقائق: «مارغريت، مارغريت، أين أنت؟ لقد تبرع السيد ماغنوم بتوصيلك إلى البيت، وذلك يعفك من حمل هذا الدهان الثقيل في الحافلة.»

فجاءت إليه كارهة: «لا حاجة لذلك، فما زال لدي اشياء أريد شراءها، ولا أريد ان اجعل السيد ماغنوم ينتظر.» قال ماتيو باسمًا: «الانتظار هو أسهل الأمور بالنسبة إلي، وانا هنا للتزود ببعض ما تحتاج إليه شركة الشحن عندي، سأخذك إلى البيت عندما تنتهين، هل ستدهنين المطعم؟»

كان يشعر بأنها لا تريده ان ينتظرها ولا ان يوصلها إلى بيتها، بينما كان السيد جنسن يقول له: «انها ستدهن غرفة طفلة جينا وجاك، ذلك لأن جينا كانت شعرت بخيبة الأمل لعدم تمكنها من تجهيز غرفة الطفلة، وجاك ذهب في رحلة إلى فينيكس تستغرق يومين.»

فكرت مارغريت بأن مدينة غاريسون ليست بحاجة إلى صحيفة يومية، وذلك في وجود السيد جنسن، هل كان عليه ان يخبر ماتيو ماغنوم بكل شيء.

سأل ماتيو وقد لاحظ انزعاج مارغريت: «غرفة ميكي؟»

فأومات كارهة، ونظر هو إلى المواد المتكومة فوق المنضدة وقال: «وماذا عن ورق الجدران هذه؟ ان وضعها سهل وهي افضل كثيراً من الجدران المطلية.»

لم تملك مارغريت سوى الابتسام، وابتسم السيد جنسن هو أيضاً: «فكرة ممتازة، ان هذه آخر تصميمات الجدار.» وقال ماتيو: «بما اننا سندهن الغرفة معاً، فمساعدك في اختيار الورق.»

فقالت متلعثمة: «ند... ندهنها معاً؟»

فأوماً بحزم: «انني مهتم كثيراً بميكي.»

قالت مارغريت فجأة: «لست بحاجة إلى مساعدة، كما انني لا أريد ورق جدران.»

فذهل السيد جنسن لفظاظتها هذه، ولكن ماتيو ابتسم قائلاً: «ولكنني أريدها.»

وسار إلى حيث ورق الجدران واخذ ينظر إليها، وهو يقول: «علينا ان نتوخى الحذر عند الشراء، فقد اخبرتني سوزان بأن آخر بحث في نفسية المواليد هو انهم يلاحظون ما حولهم، ما رأيك في زهرة الخشخاش القرمزية؟ انها قد توحى إلى ميكي بأن تصبح رسامة، أو هذه؟ انها اشكال هندسية، انا لا أوافق أبداً على فكرة ان عقل المرأة لا يستوعب الرياضيات.» وسمع آهة السخط التي افلقت من بين شفتي مارغريت وهي تتقدم لتقف بجانب الجدار الذي يعرض كل هذا. «جدار عليه رسوم نوتة موسيقية؟ قد تنشأ ميكي وهي تعزف الهرمونيكا، شاكرة لنا ذلك.»

كانت مارغريت ترى المزاح في عينيه، واشاحت بوجهها بسرعة وقلبها يخفق إذ تشعر بقربه منها، مدت

يدها إلى نوع من الورق، بعينين لا تريان وسمعته يقول:
«ماذا؟ يقطين؟ لا اظن ذلك.»

اغضبتهما ضحكته، التفتت إليه تقول: «لا أريدك ان
تساعدني، يا سيد ماغنوم، لا أريد ان تؤثر على خط حياتي
كما فعلت مع كل انسان آخر، لن ادعك تفعل ذلك، قد يظن
تيمي ان العالم منبثق عنك، ولكن ليس انا وكلما كانت
مقابلاتنا اقل، كان ذلك أفضل.»

ورأت لمحة غضب في عينيه سرعان ما تبددت: «وما
صلة دهان غرفة بأخيك؟ أم هذا مثل آخر عن أن ليس
بإمكانك ان تفصلي أي شيء في حياتك عن حياته؟»

قالت وقد كاد يخنقها الغضب: «ان قولك هذا لن يمنعني
من ان احاول جعله يغير فكره بالنسبة لعمله الحالي، لقد
تعبت من مهاجماتك الشخصية لي.»

وأثناء فترة الصمت التي تلت، سمعت مارغريت السيد
جنسن يتحدث مع احد الزبائن عن الدهان الخارجي.

قال ماتيو: «انني لست مثلك احاول ان ارغم شقيقك على
اتخاذ مهنة لا يريدونها.»

فقالت بعناد: «انني أريد الأفضل لأخي.»

«فكي إذن اربطه مشاعرك هذه نحوه، ودعيه يقرر بنفسه
ما يريد.»

نظرت إليه وتمنت لو بإمكانها إفراغ بلو مليء بالدهان
على رأسه.

«هل وجدت ما يعجبك؟»

نظرت مارغريت إلى وجه السيد جنسن الباسم وهزت
رأسها: «لم اجد بعد.»

نظرت إلى ورق الجدار بعناية وقد صممت على التركيز
على مهمتها الحالية، وأخيراً استقر رأيها على ورق مرسوم
عليه دببة صغيرة قرمزية اللون على أرضية بلون القشدة.

قال ماتيو من خلفها: «سيعجب هذا ميكي، لن أتأخر إذ
علي ان اشترى بعض الأشياء، هذا إلى فرشاة دهان ثانية.»
فقال جنسن: «هناك رشاشة للدهان توفر نصف الوقت.»
«هذه لا تنفع، ان مارغريت تحب القيام بالأشياء على
الطريقة القديمة.»

فقال السيد جنسن: «ان الدهان الجديد الذي اشتريته هو
ممتاز، كل ما عليك ان تقوم به هو ان تنظف الجدار، ثم
تضعه، عادة لا تحتاج إلى اكثر من طبقة واحدة من الدهان.»
وأثناء جمع المشتريات، بقيت مارغريت صامتة، وعندما
اخرج ماتيو محفظته من جيب بنطلونه الخلفي، قالت بعنف:
«انا التي سأدفع القائمة.»

التفت نحوها وقال ساخراً: «ألسنا نحن الاثنين،
مساعدين للطفلة؟ سأدفع نصف الثمن.»

أخرجت حصتها من الثمن من حقيبتها بصمت، لم يعد
العمل في دهن غرفة ميكي هادئاً كما كانت تتصور.

عندما خرجا من المتجر، سألهما ماتيو: «متى نبدأ العمل؟»
قالت تحذره: «ان الدهان عمل شاق.»

فأوما يقول: «اعلم هذا، فقد كنت دهنت منزلاً بأكمله ذات
صيف، متى نبدأ إذن؟»

فقالت: «هذه الليلة، حوالي الساعة الثامنة، فإن المسلسل
البوليسي الذي تحبه عمتي يكون في هذا الوقت، وبعده
تذهب إلى فراشها.»

توقفت بهما السيارة امام المطعم، وقال ماتيو: «الساعة الثامنة إذن، انه موعد.»

رفعت العمة جانيت بصرها عن المجلة التي كانت تقرأها وهي جالسة في الأرجوحة في الحديقة لحظة دخول مارغريت: «كيف حال جينا وميكي؟»

فأجابتها بذهن غائب: «انهما بأحسن حال، انني سأذهب لأدهن غرفة ميكي وجعلها مفاجأة لهما، ان جاك سيغيب لمدة يومين، فإذا ابتدأت بالعمل الليلة، فسانتهي قبل عودته. أين تيمي؟»

«انه في منزل تيجي يتفرج على الفيديو، ان والدي تيجي يملكان متجر البقالة الوحيد في إنشواتر ويسكنان خلفه.»

ترددت مارغريت ثم سألتها: «أترينه يتجنبني أم هي مخيلتي تصور لي ذلك؟»

فقالت العمة: «اظنه يحاول ان يتجنب المواجهة فقط، فهو يعرف انك لا تريدين له هذا العمل، وبدلاً من ان يناقشك في هذا الأمر، يفضل ان يبقى بعيداً عن طريقك، امنحيه وقتاً، وهو سيعود اليك.»

جلست مارغريت بجانب عمته على الأرجوحة، ونكرياتها مع اخيها وهما طفلان تجول في ذهنها، أتراها حقاً قد أبعدت عنها أخاها الذي تحبه للغاية.

«هل تظنين يا عمتي انني مخطئة في عدم رغبتني بأن يصبح تيمي سائق شاحنة؟»

قالت العمة بطريقتها الهادئة: «ولكنه لم يقل بعد أنه يريد ان يكون سائق شاحنة، أليس كذلك؟ لا تقلقي من شيء قد لا يحدث أبداً، هل وجدت شخصاً يوصلك إلى البيت؟»

وإذ قررت مارغريت ان لا تقلق عمتهما بالجدال حول تيمي والشحن، نهضت وهي تقول: «سأتصل بجو واطلب منه ان يحضر إليّ مفتاح شقة جينا الاحتياطي قبل ان يذهب إلى عمله.»

يجب ان تجد طريقة تصلح بها الأمور بينها وبين تيمي، يجب ان يدرك انها بجانبه، وانها لا تريد له سوى الأفضل، انها لا تستطيع المجازفة بفقدانه، ووصلت مارغريت إلى منتصف السلم قبل ان تنتبه إلى انها لم تجب على سؤال عمته.

اما بالنسبة إلى اتهام ماتيو ماغنوم لها بأنها لا تستطيع فصل حياتها عن حياة أخيها، فإن ليس له عليها حق في ان تثبت له شيئاً.

إتكأ ماتيو إلى جدار منزل جو، ينظر إلى مارغريت وهي تقترب ناحيته، كان القميص القديم الذي ترتديه فضفاضاً، وكان شعرها مربوطاً إلى الخلف، كما كانت ترتدي حذاء خفيفاً، وعندما نظرت إليه حول نظراته بسرعة عن ثيابها إلى وجهها. لوت هي شفيتها وهي تراه في ثياب العمل الزرقاء وعلى رأسه قلنسوة أدار مقدمتها إلى الخلف، وسألها: «أمستعدة انت للعمل؟»

فأجابت: «مستعدة للعمل.»

فتحت مارغريت الباب وأضاءت النور ثم ذهبت مباشرة إلى حيث غرفة الطفلة، وفتحت فمها ذاهلة وهي تنظر حولها، لقد حفت الجدران بورق الزجاج، حتى زال عنها كل الدهان القديم، وتحولت تنظر إلى ماتيو الذي قال لها: «لقد كان لدي فراغ بعد الظهر، فرجوت أن لا يكون لديك مانع إذا انا ابتدأت بالعمل قبلك، فقد اعطاني جو مفتاح جاك الاحتياطي.»

كانت مواد الدهان موضوعة على منضدة في وسط الغرفة. وكان راديو صغير يطلق الحاناً كلاسيكية. فتح علبة دهان وحركه وهو يقول: «انه لون جميل..» وإن صممت مارغريت على ان تكون عملية، فقد غمست الفرشاة في الدهان وهي تقول: «سأقوم انا بدهن هذين الجدارين، بينما تدهن انت الآخرين..»

«نعم يا سيدتي..» وجعلها رده الساخر هذا تلقي عليه نظرة عابسة، في السنة الأولى لعملها معلمة، كان صفها يحتوي على ثلاثين تلميذاً فوضوياً في العاشرة من اعمارهم، وأثناء حضورها إلى هنا، حدثت نفسها بأنها إذا كانت قد استطاعت السيطرة على أولئك الأولاد فبإمكانها حتماً ان تخدم مزاج ماتيو.

عملا فترة بصمت، ثم قال: «سيجف الدهان اثناء الليل إذا نحن تركنا النافذة مفتوحة..»

فاومات قائلة: «سأعود غداً بعد الظهر للصق الورق..» فقال يذكرها: «هذا ورقي وأنا الذي سألصقه فأنت لم تقبلي شراءه، اتذكرين..»

قالت بجمود: «حسناً جداً..»

اثناء عمله هنا بعد الظهر، اخذ ماتيو يفكر في ذلك النقاش الذي دار بينهما في المتجر ثم توصل إلى أول خطوة من خطته، ان على مارغريت أن تحرر شقيقها قبل ان تدمر الاثنين، الثقة والحب اللذين يربطهما معاً.

قال بحذر: «ان تيمي هو فتى رائع، يا مارغريت ان بإمكانه رعاية نفسه، وهو ذكي إلى حد يجعله يستطيع الوصول إلى قرار صائب بشأن مستقبله..»

ساد صمت جعله ينظر اليها من فوق كتفه، رآها قد توقفت عن الدهان، ولكنها مازالت تواجه الجدار. واضاف يقول: «لقد حان الوقت الذي يجعلك تركزين اهتمامك على نفسك..»

فقالت غاضبة: «انني لم احضر إلى هنا لأستمع إلى محاضرة عن طريقة حياتي..»

فتابع متجاهلاً قولها: «لا تجعلي من تيمي عذراً تتجنبني به الحياة، فهناك أمور في الحياة غير مراقبة شقيقها..»

أخذت تحدق فيه وقد تلاشى آخر أثر من ضبطها لنفسها، ثم انفجرت تقول: «انني اعرف بالضبط ما وراء هذا كله، انك لا تستطيع ان تصدق رفضي الإلتحاق بنادي المعجبين بماتيو ماغنوم. هل تقدمك للعمل معي في الدهان هي محاولة منك لغوايتي؟ حسناً، دعني اخبرك، يا سيد ماغنوم، انه مهما بلغت المدة التي ستمضيها في إنشواتر، فإن موقفي منك لن يتغير..»

نظر اليها بثبات: «هل هذا هو ما تظنينه حقاً، يا مارغريت؟ وهو ان السبب الرئيسي لوجودي هنا، ما هو إلا لأغويك؟»

اخذ منها فرشاة الدهان ووضعها بجانب فرشاته. ثم استقام في وقفته، بينما تراجعت هي مبتعدة عنه.

قال لها ببساطة: «إذا ابتعدت اكثر من ذلك فستصطدمين بالجدار. انني اريد ان اتحدث اليك لا ان انقض عليك، فاهدإي إذن ودعينا نشرح بعض الأمور، أولاً انني لا أتعمد مطلقاً غواية امرأة. والغزل المتعمد هو شيء بارد جداً بالنسبة إلي، ثانياً انا قلت ما قلته لأنني اهتم بك وبتيمي كما يهتم كل رجل شريف بالآخرين كنت اظنك تتفهمين ذلك وأنت التي نشأت في إنشواتر حيث القيم مازال لها بعض القيمة.

لا أريدك ان تضعي سعادتك على الرف لأجل سعادة أخيك.
وانا أرى الطريقة التي تحاولين بها السيطرة عليه، وانت
ستتألمين عندما يفلت من قبضتك إذا انت لم تطلقيه من نفسك.»
تلاقت انظارهما ولفهما الصمت دقيقة قبل ان يعود
فيقول: «انني لا اقيم في إنشواتر لكي اغويك، يا مارغريت،
فقد كنت امزح في ذلك النهار عندما أدليت بتلك الملاحظة،
فأنا هنا لأن شركة شحن بدوين لديها بعض المشكلات.»
«آه... وما نوع تلك المشكلات؟»

«عند وصول الشاحنة، تنكشف سرقات بعض ما ننقله مثل
صندوق معدات الكترونية، أو صندوق دواء، اشياء صغيرة
لا تستحق ابلاغ الشرطة بشأنها، ولكنها تهمني، لم يحدث
هذا مع شركات شحن أخرى، وقد كانت سمعة شركة شحن
بدوين نظيفة على الدوام وانا مصمم على اكتشاف اللص قبل
ان يصبح الأمر أسوأ.»

التقطت فرشاتها وعادت إلى العمل. لا شيء قالتها قد جعل
الأمور افضل فهي الآن لا تريدها ان تسوء اكثر من ذلك،
(انني اهتم بك وبتيمي كما يهتم أي رجل شريف بالآخرين).
لقد جعل قاعدة علاقتهم واضحة تماماً، فهي عمومية،
جافة، رسمية.

اخذت تضرب بالفرشاة بسرعة، لقد جلت العاصفة الجو
حقاً، ولكن لماذا خلقت في نفسها كل هذا الاحساس
بالتشوش والإضطراب؟ وشغلته افكارها فلم تدرك مبلغ
تأخرها إلا بعد ان انتهت جدارها الثاني، استدارت وأخذت
تنظر إلى ماتيو وهو يعمل.

توقف عن العمل بعد قليل واستدار إليها، فحولت

نظراتها عنه بسرعة، راجية ان لا يكون قد لاحظ تحديقها به.
وقال: «انتهى عملنا في وقت قياسي. ان هذا يستدعي
احتفالاً.»
«احتفالاً؟»

فأوماً: «ان لدي بيتزا في الثلاجة انها بيتزا بالجبن ولا
أدري ان كنت تحبينها. ان ستمضي فترة قبل ان اعرف ذوقك
في كل شيء، سأضعها في الفرن وأعود حالاً.»
وترك الغرفة فأخذت تحديق في أثره.

(ستمضي فترة قبل ان اعرف ذوقك في كل شيء).
ان ماتيو يعني وكأنهما حتماً سيعرفان بعضهما البعض
بشكل افضل، ونظرت حولها في الغرفة.

لا ينبغي ابدأ أن تجعله يعرف ما تشعر به نحوه. بدت الجدران
جميلة جداً، ونظرت إلى المصباح الكهربائي المتدلي من
السقف، وعبست، انه بحاجة إلى مظلة تخفف من حدة نوره.

قال ماتيو وهو ينحني ليبسط غطاء مائدة جاعلاً منه
سماطاً ورقياً ما لبث ان وضع عليه اكواباً وصحوناً من
الورق، قال: «اننا نشكل فريقاً جيداً.»

ازدردت مارغريت ريقها... فريقاً، كما يكون اثنان في
اتجاه واحد.

اخرج ماتيو من الثلاجة سلطة وعلب عصير باردة.
قالت مارغريت: «يجب ان اذهب إلى البيت حقاً. لقد قارب
الوقت منتصف الليل.»

وسمعه يقول بهدوء: «هذا لن يستغرق وقتاً طويلاً، وبعد
ذلك آخذك إلى بيتك.»

عبقت رائحة البيتزا في الشقة وتذكرت بأنها لم تأكل عند

العشاء إلا قليلاً، وترك الغرفة ليعود بالبيتزا إلى حيث وضعها في منتصف سماطه ثم قدم اليها قطعة كبيرة ليعود فيضع لنفسه قطعة هو أيضاً.

عندما أصر بعد انتهاء الطعام، على أخذها إلى بيتها، لم تحتج كثيراً، صحيح أنها لم تتعود ان يهتم بها احد، ولكن ذلك كان شيئاً حسناً تماماً.

وعند باب بيتها استدار يواجهها وهو يضع يده على البوابة يمنعها من الدخول قائلاً: «مارغريت.»

«نعم؟» وأخذ قلبها يخفق بشكل غير عادي.

«انني آسف إذا كنت قد جرحتك بما كنت قلته لك. ان تيمي

محظوظ حقاً إن لديه أخت تحبه إلى هذا الحد.»

لم تقل شيئاً، فكلمات ماتيو كانت أكثر من سخية.

ورفع يده لكي تدخل قائلاً: «تصبحين على خير، يا

مارغريت.»

«تصبح على خير.»

وعجبت للفراغ الغريب الذي شعرت به في نفسها وهو

يتوارى بعيداً.

الفصل السادس

«ما الذي حدث هنا؟»

نظرت مارغريت حولها في غرفة جلوس جاك وجينا، عصر اليوم التالي، كانت هناك قطع أمتعة من جميع الاشكال والاحجام، على الأرض وعلى الأريكة، وقبل ان يجيبها ماتيو، قرع جرس الباب فذهبت لتفتحه.

كان رجل يقف امام الباب وبجانبه كرسي هزاز كبير الحجم، وخلفه كان يسد الطريق شاحنة ضخمة.

قالت مارغريت: «نعم؟»

فأجاب: «هذا سيفيد طفلة جاك وجينا، يا سيدتي.»

وأخذ يربت على الكرسي بينما كانت مارغريت تحقق إليه، كانت قد ابتدأت تتساءل من أين أتت كل هذه الهدايا.

سألته: «من أين سأقول لهما جاءت هذه؟»

فقال: «لا ضرورة لذكر أي اسم، لقد سمعنا ان الطفلة

جاءت مبكرة عن موعدها. وحيث ان جاك وجينا قد ابتدأ

حياتهما حديثاً، فقد لا يكون متوفراً لديهما المال الكافي،

عندما اخبرنا جاك بأنها فتاة... حسناً، انني أثقل أثاثاً إلى

شركة في اوريغون، فباعوني هذه الكرسي بسعر بخس، كل

أم يجب ان تجلس على كرسي هزاز.»

فشعرت مارغريت بغصة وهي تستمع إلى كلام هذا

السائق، كانت المحبة المتدفقة من كلامه لا تكاد تصدق،

وقالت برقة: «شكراً.»

أغلقت الباب ثم استدارت إلى ماغنوم تسالته: «هل كل هذه الهدايا من السائقين؟»

فأوماً يقول: «نعم، ولكن بعضها من السكان هنا.»
فوضعت الكرسي بجانب المدفأة، واتجهت نحو غرفة
الطفلة، وإذا بها تتوقف، فقد كان بجانب الجدار منضدة
لتغيير ثياب الطفلة وبجانبها خزانة بأدراج، وكان
المصباح العاري قد نزع ووضع بدلاً منه مصباح بشكل
دب صغير فوقه مظلة وذلك على خزانة الأدراج.
قالت برقة: «لا استطيع تصديق ذلك.»

فقال ماتيو من خلفها: «لقد احضر رجل هذا الأثاث
الساعة العاشرة هذا الصباح، قائلاً ان أسرته قد اكتملت،
فارادت زوجته ان تهدي هذا الطقم إلى جاك وجينا.»
كان ماتيو قد قام بالصاق الورق حول الجدران بارتفاع
أربعة اقدام عن الأرض، منهيماً بذلك العمل إلا من القليل جداً.
التقطت فرشاة الدهان، وفتحت علبة دهان بلون القشدة،
ستنتهي المهمة في غضون ساعتين ولن يكون ثمة حاجة
تدفعها للعودة هذه الليلة.

بعد ان أنهت حوافي النافذة قررت ان تستريح قليلاً قبل
ان تنهي العمل في الباب، وإذ ذهبت إلى المطبخ لتشرب
الماء، سمعت صوتاً في الشرفة الخلفية، توجهت تنظر من
الباب إذا بها تقف فجأة، كان ماتيو قد جثم بجانب مهد.
سمعتها تخرج وتقف خلفه، فقال: «انه قسم من الطقم،
ولكنه بحاجة إلى إعادة دهن.»

كان قد أمضى معظم الصباح في إزالة الدهان القديم.
وقال لها: «ما رأيك؟»

لم تقل مارغريت شيئاً، وبعد دقيقة التفت اليها وإذا به
يقف بحركة سريعة وهو يسألها: «ماذا جرى لك؟»
فهزت رأسها والدموع تجري على خديها.
«مارغريت، ما بك؟»

فقالت وهي تشهق باكية: «انني... انني في غاية السعادة
لأجل جاك وجينا والطفلة.»
فابتسم قائلاً: «دعيني افهم، انك تبكين، كما سبق وقلت،
عندما تغضبين، وكذلك تبكين عندما تكونين سعيدة، ألا
تبكين أبداً عندما تكونين حزينة يا مارغريت؟»

نظرت اليه بابتسامة باهتة: «انني احب من كل قلبي ان
يحصلوا على أشياء جميلة للطفلة.»
فقال ضاحكاً: «ان لديهم الآن ما يكفيهما لطفلين...
وربما لثلاثة.»

فقالت: «لقد كنت نسيت مبلغ كرم سائقي الشاحنات،
عندما... مات والداي، حضر الجنازة كثيرون من السائقين
ممن لم يكونوا يعرفون والدي، قالوا انهم سمعوا بالحادث
ويريدون ان يقدموا التعازي شخصياً، وقد جمع بعضهم نقوداً
سلمها لعمتي جانباً لأجلنا، وعندما علموا انها فتحت مطعماً،
اخذوا يعلنون عنه بالكلام. فبقيت شهوراً والناس يقفون عند
باب المطعم قائلين انهم قد سمعوا عنه من سائقين آخرين.»
رأت الدهشة في عينيه وهو يقول: «إذن فنحن لسنا سيئين؟»
«ليس لدي شيء ضد السائقين بالذات، ولماذا اكرههم؟
ان عملهم هو الذي اكرهه.»

أشاح بوجهه، وخيل اليها انها سمعته يتأوه قبل ان يقول:
«كنت اظنك تخلصت من مخاوفك؟»

فقال بسرعة، متلهفة إلى تغيير الموضوع: «ماتيو، انني آسفة لما قلته الليلة الماضية، انني اعرف انك لا تريد ان تخدعني، أو أي شيء من هذا القبيل.»
قال بعينين ضاحكتين: «مارغريت، ان جزءاً مني هو فعلاً يريد اغوائك، ولكن هذا شيء لا استطيع التخطيط له بهدوء، انه يحدث عادة بشكل تلقائي.»

قالت وقلبها يخفق: «أوه.»

«ألم يحدث ان تصرفت تلقائياً قط، يامارغريت؟»

«مثل ماذا؟»

وتصاعد رنين جرس الباب.

توقف ونظر اليها باسماء: «انها هدية أخرى.» وذهب ليفتح الباب، بينما تناولت هي فرشاة الدهان وابتدأت تعمل بهدوء. لم تكن تريد ان تنقلب مشاعرها نحو ماتيو إلى أي شيء غير جاد، لقد كانت أدركت اثناء تلك الشهور الطويلة التي تلت موت والديها، أدركت شيئاً، وهو ان حب شخص لشخص آخر يعرضه للألم والقلق والخوف من ان يفقده، وهي لا تريد ان تسمح لنفسها بحب أي شخص باستثناء عمته وأخيها.

«مرحباً يا تيمي.»

نظر تيمي اليها ثم حول نظراته وهو يدخل المطبخ، قائلاً: «مرحباً.»

«هل أنت خارج؟» ندمت حالما انطلقت هذه الكلمات من فمها.

أوماً هو يقول: «انني خارج مع تيجي، وسنذهب إلى حيث نأكل البيتزا، سأراك فيما بعد.»

«هذا مؤكد.»

ومالبتت ابتسامتها ان تلاشت حالما انغلق الباب خلف أخيها، لم تكن الأمور في تحسن، بل هي إلى الأسوأ، لم تكن قد سبق وكلفت نفسها التصور ان تيمي سيكبر، بل لم تظن قط ان مرحلة النضج عنده ستكون مرادفة لخسارتها له.

بعد العشاء خرجت مارغريت إلى منزل جاك محدثة نفسها ان كل ما ستقوم به هو توصيل الملاءات التي كانت عمتهما اشترتها للطفلة، ثم ترى ما إذا كانت النافذة والباب بحاجة إلى طبقة أخرى من الدهان. كانت والدة تيجي في زيارة لعمتهما حيث جلست الصديقتان معاً تتحدثان وتشربان الشاي.

فتحت مارغريت الباب الأمامي، وإذا بماتيو يطل برأسه من باب المطبخ، فسألته بدهشة: «أما زلت هنا؟»

فأوماً يجيب: «أردت ان انهي دهن المهد هذا اليوم حيث انني ساكون مشغولاً غداً، تعالي وانظري ان كان يعجبك.» كان يريد أمس ان يكاشفها بميله اليها، ولكن الخوف منعه من ذلك، ذلك ان مشاعره العاطفية نحو مارغريت هي أقوى مما شعر بها نحو أي امرأة أخرى من قبل، ولم يستطع ان يفهم السبب، كل ما كان يعرفه هو ان يتمهل في الأمر.

نظرت مارغريت إلى المهد، كان لونه بلون الشفق، وقالت برقة: «ما أجمله.»

فأخذ يجمع العلب الفارغة وهو يقول: «هل انت مستعجلة للعودة، ام بإمكانك البقاء؟ ان لدي بعض المرطبات في الثلاجة ويمكننا ان نجلس فترة.»

«لفترة قصيرة فقط.»

وعندما ذهب إلى المطبخ، حدثت نفسها (تذكرني انه

سائق شاحنة في اعماقه، فيجب ان لا تمتلك هذه المشاعر (نحوه)، ولكن ما هي هذه المشاعر؟ الإضطراب، القلق، اللهفة، ولكن أي خطأ في الاستمتاع برفقة رجل؟

وعاد ماتيو بالمرطبات ثم جلس بجانبها، كان يعبق منها شذا ورود الصيف، نفس النوع الموجود في حديقته. وسمعها تتنهد فسألها: «هل انت متعبة؟»

«كلا، وإنما مسرورة، لقد كنت نسيت جمال أمسيات الصيف في إنشواتر، الجو في واشنطن رطب للغاية.»
«هل انت سعيدة بالقدوم إلى بيتك، يا مارغريت.»

فأومأت قائلة: «نعم، ما كانت عمتي لتحدثني عن تدهور أمورها لو لم احضر وأرى بنفسي، ان بإمكانني الآن ان اطمئن إلى انها لن تعود إلى إرهاق نفسها بالعمل، انها احسن كثيراً الآن منذ وجدت انت لها هاتين المرأتين لتساعدها، كيف استطعت ذلك؟»

«لم يكن من الصعب ان أقول ان عمك مخدومة جيدة، هل هي تعطي دوماً أكثر مما تبيع؟»

فأومأت مارغريت قائلة: «نعم، انك تعرف ذلك المثل القديم الذي يقول (ليس العطاء هو الذي يفقر الانسان). حسناً انني لا اعرف من هو الذي قال هذا، ولكن عمتي قد اثبتت صحته بشكل مؤكد، ذلك ان لديها اصدقاء اكثر من ان استطيع احصاءهم.»

فقال: «وانت قد ورثت عنها هذا، أليس كذلك يا مارغريت؟»
فقالت تغير الموضوع: «لقد قالت لي عمتي ان اشرك لأجل الأزهار التي أرسلتها اليها هذا الصباح.»

«كان هذا سروراً لي. فقد كانت جانيت بالغة الكياسة معي حين جنّت إلى إنشواتر لأول مرة، وهي التي شجعتني على ان أنشيء موقفاً للشاحنات هنا، اظنكما كنتما محظوظين جداً بها عندما كنتما في طور النمو.»

فأومأت قائلة: «كنا كذلك فعلاً، انني اتذكر مرة أخذ فيها احد زملائنا في المدرسة يتهمك علينا لأننا كنا يتييمين، وعندما عدت إلى البيت باكية، قالت لنا انه صحيح ليس لدينا والدان وهذا يجعلنا يتييمين، ولكن لدينا هي عمتنا، وهي بمثابة الوالدين في شخص واحد، فهي بإمكانها ان تضربنا إن اخطأنا ككل الآباء، وتحبنا ككل الأمهات. قالت لي ولتيمي اننا محظوظان لأن اغلب الأولاد عليهم ان يطيعوا والديهم الاثنين، ولكن نحن علينا ان نطيعها وحدها، انها كانت حريصة على ان لا نشعر بالأسى على انفسنا.»

التفتت إلى ماتيو، وسألته: «كيف كانت طفولتك، يا ماتيو؟»

أجاب وقد تاهت عيناه في الماضي وبدت الكآبة في ملامحه: «كانت فظيعة، لا اظنك تحبين ان تسمعي عنها.»
فقالت برقة: «حدثني.»

اجفلت وهي تسمع صوت انسحاق علبة العصير في يده وهو يقول: «الغضب كان يسود طفولتي، يا مارغريت، ان ذكرياتي الباكرة هي عن أمي وأبي يصرخان ويتشاثمان، وعلى الدوام كانت رائحة كريهة تفوح منهما، وكانا دوماً غاضبين. عندما كان يثور غضبها هي كانت تلقي بالأشياء، وعندما رحلت شعرت في الواقع بالارتياح لأن المنزل اصبح هادئاً من دونها. وكان يرعانا، انا وسوزان

وباتريشيا جيش من الخدم، وكنا نحصل على كل ما نريد مادمننا بعبيدين عن طريق أبي.»

كانت الشمس تغوص وراء الأفق رويداً رويداً، مغرقة الكائنات بلون الشفق الذهبي، البرتقالي، ولكن مارغريت لم تحول نظراتها عن وجه ماتيو وهو يتابع قائلاً: «في كل مرة تزوج أبي فيها، كان يخبرنا بأننا سنكون أسرة سعيدة، وأنه يتزوج لكي يمنحنا أمأً، وقد حدث هذا مرتين قبل ان اعرف ان الأمور لن تتغير، لم تهتم أي من تلك المرأتين لم تكن تهتم بأبي كذلك، وإنما بأمواله فقط. وهكذا نشأت معتبراً ان الحب هو كلمة تخدع بها المرأة الرجل لتنال منه ما تريد.»

فقالته بهدوء: «هذا فظيع.»

«لقد تعرفت إلى نساء كثيرات، ولكنني لم اقع في حب واحدة منهن قط، انني اعتبر حبي لامرأة هو تسليمها قيادة حياتي، ولا اظن بإمكانني ان أثق بامرأة إلى حد القيام بهذا، وهكذا ترين انني وضعت نفسي في قفص من صنعي، ما جعل من المستحيل، بالنسبة لي، ان أثق بحب امرأة.»

شعرت مارغريت بغصة في حلقها، ولم تعرف ماذا تقول، فالكلمات التافهة لا تستطيع ان تشفي جراح ماتيو النفسية، انها لم تعان ما عاناه، ولهذا ما تستطيعه هو فقط ان تتكهن بمبلغ ألمه، وجلسا صامتتين، بينما اخذ الظلام ينتشر من حولهما.

جلست مارغريت إلى مائدة المطبخ مع عمته، وكان الطعام يغلي في قدر على الموقد، فقد كان تجهيز اللحم والخضر لهذا قد استغرق منهما ساعة كاملة، وكانت رائحة الطعام الشهية قد ابتدأت تعبق في جو المطبخ، وكانت آني

التي تعمل في المطبخ قد خرجت لقضاء فترة راحتها، سكبت مارغريت فنجانين قهوة، وهي تقول: «انني سأذهب بعد الغداء إلى منزل جينا، هل تريدان ان ترسلني معي شيئاً؟» فأومأت العممة تقول: «سأضع لك شيئاً من هذا الطعام لجينا، وشيئاً لجو. انني مسرورة لزيارة والديها والذي جاك لهما هذه الأيام.»

«ان جينا قلقة بشأن جاك، انها تقول انه اصبح جافاً معها.»

فقطبت العممة جبينها مفكرة: «لا أدري ماذا قد يكون حدث بينهما. فقد كانا في غاية السعادة قبل ولادة الطفلة.»

«ان جاك سيخرج مع جينا لتناول العشاء في الخارج هذه الليلة. وهي مصممة على التحدث اليه بهذا الشأن. وأنا سأصنف لها شعرها بعد الظهر.»

«مارغريت، هل تستمتعين باجازتك؟»

أجابت بحزم: «كثير جداً.» ذلك انها شعرت بقلق عمته من وراء هذا السؤال.

دوماً كان هناك ما تقوم به، فهي تساعد عمته عند الصباح في الطهي، ومنذ عودة جينا وجاك إلى بيتهما، اخذت تمضي قسماً من العصر معهما. وفي الأمسيات، كانت تجلس للقراءة أو العمل في الثوب الذي كانت تخطيه. ياليت الأمور كانت صافية بينها وبين تيمي، إذن لاكتملت سعادتها.

«انني مسرورة لأجلك. فليس ثمة أسوأ من الملل.»

قالت مارغريت تذكرها: «اتذكرين ما كنت قلته لي ولتيمي عندما كنا صغاراً؟ الناس المثيرون للملل هم فقط الذين يشكون من الملل.»

فابتسمت العمة وهي تنهض، وقد سرت للكلمات ابنة أخيها: «انني مسرورة لمجيئك الينا، يا مارغريت.»
كانت العمة قد جعلت مارغريت تظن ان احوال المطعم ترهقها، إذ كانت تعرفت ان ذلك يجعلها تأتي اليهم. فهي منذ تعرف إلى ماتيو ماغنوم، قررت ان تعرفه إلى مارغريت قبل كل شيء، وها قد أدت دورها في جعلهما يتعارفان وعليهما الباقي.

كانت مارغريت تعد مائدة المطبخ للعشاء، بينما افكارها منصرفة إلى ماتيو، كانت آخر مرة رآته فيها هي في محل البقالة، وذلك في اليوم التالي لإنهائه دهن المهد، وكان قال لها انه سيذهب فترة إلى لوس انجلس، وها قد مضى اسبوع دون ان يبدو له أثر.

ان عمل ماتيو بالشحن هو وحده سبب كافٍ يجعلها تبتعد عنه، وكون معشر السائقين جيد للغاية لا يغير من واقع ان العمل الذي يقومون به هو قاسي وخطر، انها لا يمكن ان تسمح لنفسها بالوقوع في غرام سائق شاحنة.

رفعت يدها إلى فمها. ما هذا الذي تفكر به؟ فهي لا تريد ان تسمح لنفسها بالوقوع في غرام أي شخص كان. فالحب يقود إلى الآلام. وان عليها ان تقوي من دفاعاتها قبل عودة ماتيو، فهو درس علمها إياه الماضي.

سألها تيمي وهو يدخل المطبخ: «انها ليلة العمة جانيت مع نادي الأطعمة الدولية، أليس كذلك؟» كان يبدو أنيقاً نظيفاً قد سرح شعره إلى الخلف فبدا بذلك فتى ناضجاً.
«هل علينا ان نأكل طعاماً غريباً لم نتعوده هذه الليلة؟»

فقالت باسمه: «كلا، فأطعمة نادي العمة جانيت تتغير كل شهر. وهذا هو الشهر الإيطالي، الذي سنأكل اثناءه طعاماً مطهياً على الطريقة الإيطالية.»

فقال وهو يناولها طبقه: «آه، هذا حسن، هل أنت خارجة يا مارغريت؟»

سكبت له كمية وافرة من الطعام وهي تسأله بدهشة: «وكيف عرفت؟»

«ذلك لأنك ترتدين عادة شورت وقميصاً، ولكنك الليلة ترتدين تنورة، وشعرك مسترسل وغير مربوط إلى أعلى، كما انك تضعين احمر الشفاه على شفتيك.»

وعندما نظرت مارغريت اليه حائرة، انحنى هو على طعامه. لم يكن من عادته ان يكون شديد الملاحظة إلى هذا الحد. أجابت تقول: «انني سأذهب الليلة إلى منزل جينا لأجلس بجانب ابنتها اثناء خروجها مع زوجها.»

لم تكن جينا قد قبلت بالخروج مع جاك إلا بعد ان وافقت مارغريت على الجلوس بجانب ابنتها، وطبقاً لمخاوف الأم عادة، لم تقبل جينا بأن تأتمن على ابنتها أي احد آخر.

سألت مارغريت اخاها بلهجة حاولت ان تجعلها عفوية: «كيف تسير الأحوال في موقف الشاحنات.»

«بشكل عظيم، لقد ذهبت في أول رحلة لي هذا النهار مع احد السائقين، ذهبنا فقط إلى بارستو ثم عدنا، ولكن الرحلة كانت منظمة تماماً، ان التجهيزات الجديدة هي مختلفة جداً عما كانت عليه، وقد عاد السيد ماغنوم هذا الصباح من لوس انجلس.» وإذ بقيت صامتة رفع بصره ينظر إليها، ثم سألها: «ما الذي حدث؟»

وإذ لم تتلفظ مار غريت بكلمة، تغيرت ملامح تيمي وقال: «هل صعب عليك سماع خبر زهابي اليوم في أول رحلة لي؟» ونهض غاضباً وهو يتابع قائلاً: «انك لست ممثلة ماهرة، يا مار غريت، لقد تظاهرت بقبول ما أقوم به، ولكن الحقيقة انه لم يتغير شيء في اعماقك، أليس كذلك؟ فأنت مازلت تكرهين عملي في الشحن. انك تريدني ان ابتعد عن الشاحنات لأنك لم تستطيعي قط ان تنسي ما حدث لأمي وأبي.»

أجابت مار غريت وقد امتلأ ذهنها بذكريات تلك الليلة التي تلقت عمته فيها تلك المخابرة الهاتفية من المستشفى تخبرها فيها بأن والديهما قد أصيبا في حادث خطير، أجابت تقول: «ان قيادة الشاحنات عمل خطر.»

أخذ يتخلل شعره باصابعه وهو يتحول إلى نافذة المطبخ ينظر من خلالها وهو يقول: «انه ليس اخطر من أي مهنة أخرى، وقد ضجرت حقاً من تدخلك الدائم وتعليمي ما علي ان افعله بحياتي.»

«تيمي، يجب علينا ان نتحدث.»

«وماذا هناك لنتحدث عنه؟ انني لا أريد ان استمع اليك وانت تحاولين تغيير افكاري، ان الرعب يملكك من ان اتخذ مهنة سائق شاحنة مثل والدي. انا آسف إذ لا يعجبني ان اتخذ عملاً آمناً في مكتب هندسة، كما تريدني. حتى انني لست واثقاً بعد من أنني أريد ان اكون سائق شاحنة، كل ما اعرفه حالياً هو انني مسرور بعملتي بين الشاحنات، وعندما يحين الوقت، انا الذي سأختار مهنتي وليس أنت.»

تملكها الألم، الحق مع تيمي، فقد عادت اليها كل مخاوفها حينما اخبرها عن رحلته هذا النهار.

ووقفت تنظر إلى عشاء تيمي الذي لم ينهه، وقد تملكها الإكتئاب، انها المرة الأولى التي ترى فيها تيمي غاضباً بهذا الشكل، انها لا تستطيع تغيير مشاعرها نحو هذه المهنة، وإذا هي لم تقبل بحب تيمي للعمل الذي يزاوله، فهي ستخسر شقيقها كلياً.

وشعرت بغصة في حلقها، ان تيمي أهل لتقرير أموره، وعليها ان تتعلم كيف تكف عن القلق وعندما نظرت إلى الساعة، تذكرت موعداً مع جينا.

في طريقها إلى منزل جو، حيث شقة جينا وجاك اخذت تفكر في ماتيو ماغنوم، متمنية لو انه لم يأت قط إلى إنشواتر لإقامة موقف شاحنات.

«مرحباً يا مار غريت، تبدين جميلة جداً هذه الليلة، ألا تريدني ان تتزوجيني فتعيشي سعيدة بقية الحياة؟» كان جو وهو يقول لها هذا، يقف على شرفة المدخل الأمامي. وكان عرضه الزواج هذا بنفس اللهجة التي يمكن ان يسألها فيها ان تبيع حصته من الحلوى لتجمع نقوداً لإنشاء فرقة موسيقية مدرسية، وأجابت هي باسمه: «كلا، شكراً يا جو. فالليلة ليس لي مزاج للتفكير في الزواج، فأنا هنا لأكون جليسة لطفلة جينا.»

«ولكن كيف بإمكان الرجل ان يستقر بينما فتاته لا تمضي بقربه وقتاً كافياً يجعلها تقبل عرضه الزواج عليها.»
وتبعها صوته المازح وهي تدخل شقة جينا وجاك.

الفصل السابع

«مرحباً، يا مارغريت، ادخلي.» هتف جاك بذلك وهو يفتح لها الباب.

«ألا تقولين مرحباً لمارغريت؟» قالت جينا ذلك بصوت رخيم مشيرة إلى طفلتها التي كانت تضع اصبعها في فمها. «مرحباً مارغريت.» صدر هذا الصوت من ماتيو الذي كان ينهض واقفاً من على كرسي في زاوية من الغرفة.

تلاشت من نفس مارغريت كل الاحتياطات والدفاعات التي كانت انشأتها حولها وذلك إزاء حرارة نظرات ماتيو، وشحب وجهها. نسيت لحظة كل شيء عن تيمي وتمنياتها لو ان ماتيو لم يسمع قط باسم إنشواتر، اخذ قلبها يخفق بالمشاعر. لم تشعر قط بالحياة تتدفق في كيانها كما شعرت في هذه اللحظة.

شعرت مارغريت بغصة في حلقها حين قفزت نكري غضب تيمي إلى ذهنها. واحالت النكري هذه الحرارة التي تملكنتها إلى برودة الثلج.

«مرحباً ماتيو.» وكان صوتها مزيجاً من التحفظ والإرتجاف.

كانت جينا تقول: «لقد اطعمت ميكى وغسلتها وهكذا ستنام مباشرة، وقد وضعتها في مهدها.»

أرغمت مارغريت نفسها على النظر إلى جينا لكي تستوعب ما تقوله: «سنعود حوالي الحادية عشرة، فإذا جاءت...»

فقالت مارغريت: «فسأطعمها، وإذا كانت مبتلة فسأغير لها الحفاظ، وإذا بكت سأحملها.»
أموات جينا، ثم التفتت إلى زوجها: «هل تركت يا جاك رقم هاتف المطعم...»

فقاطعها: «نعم، نعم تركته، وكذلك رقم هاتفى المركز الطبى والشرطة، وهاتف والدتك ووالدتي كنت سأترك رقم هاتف والدة جو أيضاً لو انها تعيش في ولاية أريزونا.»
وغمز بعينه لماتيو ومارغريت قبل ان يلتفت إلى جينا. «ان ميكى ستكون بخير، والآن دعيهما لذلك يا حبيبتى. إلى اللقاء وشكراً لكما.»

(دعيهما)؟ نظرت مارغريت متسائلة إلى ماتيو بينما جاك يجر زوجته إلى خارج الغرفة.

رفع ماتيو حاجبه وابتسم: «لقد كادت جينا تغير رأيها في الخروج هذه الليلة، حتى وعدتها بأن أبقى هنا لأساعدك في رعاية الطفلة.»

وقطع صراخ الطفلة الاعتراض الذي كانت مارغريت على وشك النطق به، ثم اتجهت إلى غرفة النوم. ولكن يد ماتيو على كتفها أوقفها، فنظرت إليه. سألها بهدوء: «ماذا جرى؟»

اجابت بصوت حاولت ان تجعله طبيعياً: «ماذا تعنى؟»
«عندما دخلت القيت عليّ نظرة تفصح عن سرورك برويتي، وفجأة كأنما اطفأ شخص ما المصباح في داخلك، فلم تطيقي رؤيتي، ما الذي فعلته انا الآن؟»

اجابت دون ان تنظر اليه: «لقد ذهب تيمي في رحلته الأولى هذا الصباح.»

«آه، فهمت، فقد عاودتك مخاوفك القديمة من ان يحدث له

شيء كما حدث لوالدك. وقررت توجيه اللوم عليّ لما يفعله تيمي.»

وقفت وقد سمرها في مكانها عنف النظرة التي وجهها إليها ماتيو، لقد كان تخمينه صحيحاً، وأعادها إلى حاضرها صراخ ميكى ولولتها، فهرعت إلى غرفة النوم ثم حملت الطفلة، واخذت تهددها.

في غرفة الجلوس، دس ماتيو يديه في جيبه وهو يعترف لنفسه بالحقيقة، فهو لم يكن رحل الأسبوع الماضي لقضاء اعمال له، بل لكي يمنح نفسه فرصة يعالج فيها أمر موقف غريب. ذلك انه لم يستطع فهم مشاعره نحو مارغريت... فهذا الشوق الذي يشعر به نحوها، ولهفته إليها، كل هذا كان هو السبب في رغبته في ان ينبهها إلى نفسها وليس مجرد مساعدة منه لانسان آخر.

عادت مارغريت إلى غرفة الجلوس حيث جلست على الكرسي الهزاز واخذت تربت على ظهر ميكى، ماداما سيمضيان بقية المساء معاً، فمن الأفضل ان يكون حديثهما طبيعياً.

وإذ شعرت به يحدق إليها، قالت بسرعة: «ان ميكى طفلة هادئة جداً ما لم تصب بالمغص، ان جاك وجينا محظوظان في الحقيقة، فهي لا تستيقظ سوى مرة واحدة في الليل.»

«بيدو انهما متعلقان جداً بالطفلة.»

«هذا صحيح، فهما يتجادلان في من يطعمها منهما أو من هو الذي يختار لها ما تلبس.»

«كم من الآباء، في الواقع يستمتعون بأطفالهم، هذه الأيام؟» وإذ تجشأت الطفلة بقوة قالت لها مارغريت: «هل هذا ما كان يزعجك، يا حبيبة؟» وكان ما قاله ماتيو عن

الآباء قد أدهش مارغريت، فقالت: «ان اكثر الآباء الذين اعرفهم كذلك. ما الذي لا يمكن ان يحبه احد في الطفل؟» فأجاب: «لا أدري، ولكن في المكان الذي جئت انا منه، رأيت آباء يتفرقون حالما يأتي الطفل. أو يتجادلون في من هو الذي ليس عليه تغيير حفاظ الطفل وما أشبه.»

كان هذا بعيداً عن التصديق، فقالت: «ان ضغط الحياة قد يفعل ذلك بالناس.»

«ألم تكن تربيتك وشقيقك متعبة لجانيت؟ ومع ذلك فهي تكن لكما غاية الحب.»

فأومات مارغريت تقول: «لقد كنت سألت عمتي جانيت مرة عما إذا كانت تربيتنا شاقة عليها، فقالت انني وتيمي قد اعطيناها هدفاً في الحياة، وأن المرة الوحيدة التي أرادت فيها ان تتخلى عنا لمن يرعانا هي عندما كتبنا رسالة إلى طبيينا، نسأله ان كان يتزوجها ثم يصبح والدنا.»

ارتفعت ضحكاتها في فضاء الغرفة الساكن. وتحركت الطفلة في نومها، فعادت مارغريت تربت عليها وهي تقول: «ياليتك رأيت وجه العمّة جانيت عندما تلقت رسالة من الدكتور برنارد مصحوبة بتلك الرسالة، لقد سألتنا لماذا فعلنا ذلك. فقال تيمي ان المتزوجين ينجبون اطفالاً، وهو يريد العمّة جانيت ان تتزوج وتنجب طفلاً، وبهذا لا يعود هو الأصغر الذي عليه ان يطيع الجميع. ثم سألتني عمتي عن سببي أنا، فقلت...» وتلاشى صوت مارغريت وهي تتذكر ما كانت قالته. ثم وقفت واخذت تسير على أرض الغرفة والطفلة الصامتة على يديها.

سألها ماتيو بهدوء: «وماذا كان سببك انت، يا مارغريت؟»

تنهدت، شاعرة بالفخ الذي أوقعت نفسها فيه، كان عليها ان تدرك ان ماتيو لن يسكت عن هذا الأمر.

أشاحت بوجهها عنه وقالت: «لقد قلت لها انني بحاجة إلى والد لكي يسلمني إلى عريسي عندما أتزوج.»

ساد السكون لحظة قال ماتيو بعدها: «لا بد ان فقدانك لوالديك مبكراً بذلك الشكل، لا بد انه كان صعباً جداً عليك.» وردت عليه بصوت أدنى إلى الهمس: «نعم، كان صعباً.» تركت الغرفة إلى حيث وضعت الطفلة في مهدها ثم وقفت بجانبها فالحزن الذي كانت تخاف من اطلاقه، هدد بإغراقها وهي تتذكر وجه عمته عندما تركت سماعة الهاتف من يدها في ذلك اليوم المصيري منذ ثلاثة عشر عاماً.

لقد كانت عمته قالت وهي تحيط مارغريت وتيمي بذراعيها وقد ابيضت شفتاها: «لقد حدث اصطدام.»

لقد كانت فتاة صغيرة ترسم صورة لأمها وأبيها ولكنها في الدقيقة التالية، كانت قد استحالت كل ما استطاعت ان تتذكره هو انها احاطت تيمي بذراعيها وهي لا تفتأ تردد لحظة بعد لحظة: «إنني لن اتركك يا تيمي. لن اتركك أبداً.» «مارغريت.»

وشعرت بيده الدافئة على ظهرها. لم تكن تريد ان يراها ماتيو بهذا الشكل، ولهذا بقيت مشيخة عنه بوجهها لأنه كان مبللاً بالدموع، ثم شعرت بيد ماتيو على كتفها مديراً وجهها لمواجهته. ثم قال لها بصوت رقيق ثابت: «لا بأس في البكاء.»

كان في هذه الكلمات البسيطة، والتي جاءت في قمة توترها بسبب ذلك النقاش مع تيمي، كان فيها انهيارها، لم

يقلها احد لتلك الفتاة الصغيرة مارغريت والتي كانت تحتمل الآلام دون شكوى، لقد قالوا لها ان تكون شجاعة، وان تهتم بأخيها وترعاه. وان تكون فتاة طيبة وتساعد العمه جانيت، لم يخبرها احد قبل ماتيو بأن البكاء أمر جيد.

وانفجر سد ضبط النفس، وتدفق طوفان الأحزان المختزنة كل تلك السنوات. أمسك ماتيو بها وشهقاتها تتوالى، والكلمات غير المفهومة تتدفق من بين شفتيها تصف أهوال ذلك اليوم... والألم والصدمة...

لقد اعتصر قلب ماتيو حزناً وهو يستمع اليها، متسائلاً عما إذا كان فعله عين الصواب وهو يرغبها على الوصول إلى هذه النقطة.

عندما توقفت الشهقات، وابتعدت عنه، ناولها بعض المناديل الورقية وهو ينظر إلى الطفلة النائمة والتي لم تتحرك اثناء عاصفة البكاء تلك.

«نقول جينا ان ميكي تستيقظ، احياناً، إذا ما عطس شخص في الغرفة الثانية. وفي احيان أخرى لا تسمع شيئاً ولو قرعوا الطبل في غرفتها.»

كان صوت مارغريت مبوحاً وهي تقول ذلك، ولكن الدعابة الهادئة خلف كلماتها ملأت قلب ماتيو بالسرور. فقال: «فلنذهب إلى غرفة الجلوس.»

شعر بارتباك مارغريت وهي تشيح بوجهها عنه، فقد اخترق كل السدود التي كانت احاطت نفسها بها، ما جعله يصل إلى حيث هو الآن... إلى الباب الذي يقود إلى اعرق مشاعرها، ان كلمة واحدة خطأ يتلفظ بها كفيلة بأن تجعلها تصفق الباب في وجهه.

نظر اليها تجلس على الكرسي الهزاز وقد ارتسم الحزن على وجهها وامتلات عينها بالذكريات، وقال: «من حسن حظكما ان كانت لديكما العمة جانيت، لا احد يستطيع شفاء آلام فقد الوالدين ولكن لديك ذكريات جيدة أخرى عن طفولتك ونشأتك في ظل امرأة تحبك.»

أومات مارغريت إيجاباً، بينما تابع هو يقول: «ان افضل ذكرياتي انا هي حين هربت من البيت.» كان يريد بالحديث، ان يمنح مارغريت وقتاً تهدياً فيه. «كانت شقيقتاي سوزان وباتريشيا في مدرسة داخلية، وذلك بفضل زوجة أبي الثالثة، لم اشعر في حياتي قط بمثل الوحدة التي كنت اشعر بها في ذلك الحين، ولكنني كنت من ناحية أخرى، مسروراً لخلاص شقيقتي من كل ذلك... وذات ليلة، وكان في منزلنا حفلة كبيرة، قدمني أبي إلى آخر صديقة له والتي كانت مرشحة لأن تكون الزوجة رقم أربعة وهو يقول: «اعرفك إلى ابني ماتيو. انه لأبيه. هذا الشبل من ذاك الأسد.»

«وقفت انا وقد صدمتني كلماته هذه، فأنا لم اكن أشبهه مطلقاً، ولكنه لم يكن يرى ذلك، فقد كنت أقول له دوماً انني لا اهتم بعمل الأسرة، ولكنه لم يستطع ان يفهم، فقد كان واثقاً تماماً من انني مع الوقت، سأقوم بما يريد بالضبط، وفجأة، ادركت انني إذا بقيت هناك بعد ذلك فلن استطيع منع نفسي من ان اصبح مثله. وفكرة أن اصبح شبيهاً بأبي اخافتني اكثر من أي شيء آخر في العالم، فذهبت إلى غرفتي، وجمعت بعض الحاجيات، ثم تسللت خارجاً.

وصلت بطريقة توقيف السيارات، إلى الشارع العام، شاعراً بوحدة وخوف لم يسبق ان شعرت بهما في حياتي،

وبعد حوالي ساعة وقفت بجانب شاحنة نظر إلي السائق منها وهو يقول: «إلى أين انت ذاهب يا ولد؟ فقلت واسناني تصطلك من الخوف: إلى حيث تذهب. فسألني: ألا تريد ان تخبرني؟

ولا أدري ما إذا كان الظلام هو السبب، أم حقيقة انني لم اتحدث إلى أي شخص عن مشاعري، ولكن عندما ابتدأت بالكلام لم اعد استطيع التوقف، فأفرغت أمامه كل شيء، طريقة حياة والدي، شعوري نحو النساء اللاتي كان يحضرهن إلى المنزل، وبيتنا الكبير المليء بالخدم والمال والفراغ. استمع هو إلي دون ان يتفوه بحرف، وعندما توقفت عن الكلام، اوقف الشاحنة وقال: اننا سنأكل وننام هنا الآن، وعند الصباح سنتحدث.» وعند الصباح قال لي انني لن استطيع الهرب من الذكريات لأنها في داخلي. والشيء الوحيد الذي علي ان اقوم به، كما قال، هو ان اواجهها وأرى ما يمكن وما لا يمكن تغييره، اما أبي فلم يكن من الممكن تغييره، وهذا يعني أن عليّ انا ان اتغير، ثم قال: «اتعرف ما هو بانتظار الشخص الهارب، في العالم؟ انها تعاسة ومشقة لم تتصورها قط، فلا شخص نزيهاً سيستأجرك لأنك تحت السن، والذين يستأجرونك سيمنحونك أجراً قليلاً ويزيدون ساعات عملك، وإذا لم تكن تريد ان يعثر عليك والدك، عليك ان تبقى مختبئاً وهارباً من مكان إلى مكان. هل بهذا الشكل تريد ان تمضي السنوات القليلة التالية في حياتك، وذلك إلى ان تبلغ سن الرشد؟ وما الذي سيحدث لشقيقتيك، قد تفكران في الهرب هما أيضاً.»

«لم يعجبني ما قاله، وأخيراً عاد يقول: «أدري ماذا؟ انني

أراك غلاماً غنياً مدللاً، انني أراك في الواقع، أشبه بأبيك. فأنت تقول انه لا يفكر إلا في نفسه، وها أنت ذا تفعل نفس الشيء بالضبط وذلك بهذا الهرب دون ان تفكر إلا في نفسك.»

«وملأني خوفاً مقارنته لي بأبي، ما جعلني أسأله عما عليّ ان اصنع، فقال: «العلم والمال هما طريقك إلى الحرية التي تريدها، عد إلى بيتك، وأكمل دراستك وزود نفسك بمؤهلات تساعدك على تحصيل معيشتك. ففي اليوم الذي تبدأ فيه العمل، هو اليوم الذي تبدأ فيه باكتساب القوة لتحويل احلامك إلى حقائق. انك ستحتاج إلى شجاعة وعزيمة لكي تختار طريقك الذي عرفته، وتلتصق به.»

«وعندما انهى حديثه، سألتني عما قررت. فأخبرته بأنني قررت العودة إلى البيت، عند ذلك صافحني وانزلتني على مسافة ميل من البيت، وعندما سألته عن اسمه، قال: «بدوين. لقد كافحت طوال حياتي فلم احصد شيئاً، ولكن عليك ان تستعمل مالدك وذلك لكي تصل إلي ما تريد. خذ الحسن، وتجاهل السيء، وهذا ليس سهلاً، ولكن الحياة نفسها ليست سهلة هي أيضاً.»

سكت ماتيو فقالت برقة: «تابع كلامك.»

«مضت سنوات لم يعلم فيها احد من البيت بمحاولتي الهرب تلك. لقد حصلت في ذلك الصيف، عندما اكملت السادسة عشرة، على عمل في موقف شاحنات، وقد ثار غضب أبي عندما علم بعدم نيتي في العمل بشحن سفن ماغنوم، ولكنه لم يستطع ان يجعلني أغير رأبي، وفي الثامنة عشرة تركت البيت لألتحق بالجامعة وحصلت على عمل بنصف دوام بصفة ميكانيكي في موقف شاحنات قرب الجامعة، وقد

رقيت فيما بعد إلى سائق شاحنة، لقد كان كلام بدوين صحيحاً، فقد استغرق الأمر الدراسة الجامعية وخمس سنوات من العمل بصفة موظف بإدارة الأعمال في شركة، وذلك لكي اجمع المال الكافي لشراء أول شاحنة لي.»

فتنحنحت مارغريت: «هذا هو السبب إذن في انك اطلقت على شركتك. اسم بدوين؟»

«لقد افادني بدوين في تلك الليلة اكثر مما افادني والدي،

لقد وجهني إلى الصواب.»

«هل عدت وقابلته بعد ذلك؟»

فأوماً قائلاً: «عندما ابتدأت أسوق الشاحنات سألت بعض السائقين عنه. وذات يوم خابرنني إلى موقف الشاحنات الذي كنت أعمل فيه، واخبرني انه تقاعد عن العمل ولديه منزل صغير عند بحيرة ميشيغن، اخبرته بما أقوم به، وكيف انني مديون له بما فعله لي، فلم يهتم بشكري وقال انه كان لدي دوماً امكانيات وافرة وانني فقط بحاجة إلى من يذكرني بها، وبعد ذلك اخذنا نتحدث معاً مرة في الشهر، وقد مات بعد ان فتحت شركة شحن بدوين بشهر. ولكنني مسرور لأنه علم بأنني اطلقت اسمه على شركتي.»

وسادهما جو من الارتياح بينما كان الظلام يزداد في الخارج.

سألته بعد فترة: «هل تريد قهوة؟»

وأوماً هو بالإيجاب.

وبينما كانت تعد القهوة في المطبخ، اخذت تفكر في ما حدثها به ماتيو عن حياته. لقد كانت لدى بدوين فكرة عن الحياة الانسانية اكبر من اكثر الأطباء النفسانيين.

كان ماتيو واقفاً بجانب التلفزيون، ينظر في ملف كانت احضرته معها، عندما دخلت هي بصينية القهوة.
سألها: «هل اعترمت العمل هذه الليلة؟»
«أردت فقط ان اجدد المعلومات في الملفات التي مازلت محتفظة بها منذ ابتدأت العمل في معهد إدواردز.»
«هذه الفتاة التي يذكرها الملف، فيكي بارودز، ماذا كان شأنها؟»

فجاءت مارغريت تقف بقربه وتنظر إلى صورة الشقراء الباسمة والتي تبلغ الثانية عشرة من عمرها، وقالت: «ان فيكي تعاني من شلل في المخ، وقد عثر عليها في مخزن غلال قديم وذلك منذ سنة. وقد اكتشف الدكتور إدواردز انه لم يحاول ان يتصل بها احد، وفي المعهد، لم تكن تفعل سوى الاستلقاء في السرير والتحديث في السقف طوال النهار، ولكن الدكتور إدواردز كان مقتنعاً بأن بإمكان فيكي ان تفهم ما يقال لها. ولكن اصبح من عاداتها فقط ان لا تستجيب. فأخذت انا أقرأ لها، وفي خلال اسبوع، اصبحت فيكي تدير رأسها وتنظر إلى الباب في انتظار خطواتي كل صباح. وعندما اخذت تتجاوب مع صوتي وحضوري، اصبح تعليمها مصدر سرور لي.»
فسألها: «لماذا هذا المعهد هو الوحيد من نوعه في البلاد؟»

«ان الدكتور إدواردز يحب ان يفتح فرعاً له، ولكن ليس من السهل العثور على الشخص المناسب لإدارته، لان عمله لن يكون من التاسعة صباحاً إلى الخامسة مساءً... وإنما على مدار الساعة، وليس هناك أطباء كثيرون بحساسية الدكتور إدواردز.»

لم تذكر مارغريت انها كانت اقترحت بلدة إنشواتر مكاناً مثالياً لفرع آخر لأن الأرض كانت رخيصة تماماً هنا.
«قد يكون بإمكانني المساعدة في ذلك.»
فاحمر وجهها وقالت بسرعة: «انني لم اقصد التلميح إلى أي شيء.»
«أنا اعلم انك لم تقصدي ذلك، يا مارغريت، وانا لا اقدم مالاً، وإنما فقط اجعل الدكتور إدواردز على اتصال بشخص بإمكانه المساعدة في تمويل فرع جديد في الساحل الغربي.»
فسألته: «ومن هو؟»

«ان باتريشيا شقيقتي الثانية وقد اتخذت مهنتها تدبير ممولين، وسيسرهما الاتصال بالدكتور إدواردز والتحدث معه عن نوع عملها.»
فقالت: «إذا انت اعطيتني رقم هاتف شقيقتك سأعطيه للدكتور إدواردز واطلب منه الاتصال بها إذا اهتم بهذه الفكرة.»
فقال ماتيو: «سأعطيك احدي بطاقات عمل باتريشيا. ان تخصصها هو في إقامة احتفالات للممولين يدفع الواحد منهم خمسة آلاف دولار ثمن طبق عشائه.»
حدقت مارغريت اليه. فالحياة التي يتحدث عنها هي خارج مفهومها.

فمد ماتيو يده ومس أنفها بإصبعه وهو يقول: «لا تحاولي ان تفهمي شيئاً، ان باتريشيا تقول انها تسدي معروفاً للمتعاملين معها وذلك بإقامة هذه المناسبات، فتوسطها في الحصول على تبرعاتهم إنما لترفع من شأنهم.»
فقالت تنبهه: «ان الدكتور إدواردز ليس من نوع الرجال الذين يسمحون بأن يسيطر عليهم احد لمجرد تبرعه لمشروع لهم.»

«ان التبرعات تمنح دون شروط، وبضمان باتريشيا بأن التمويل سيستعمل للغرض المعني.»

فقالت: «هذا يبدو رائعاً.»

أخذت تفكر في ان نجح هذا الأمر، واختار الدكتور إدواردز بناء فرع ثان في إنشواتر، فبإمكانها ان تعيش في بيتها مع عمته، وترى ماتيو يومياً، وقالت: «سأخبر الدكتور إدواردز بشأن ما تحدثنا عنه.»

ثم سألته لتغيير الموضوع: «كيف كانت رحلتك؟»

«كنت مشغولاً جداً، فالعمل والاجتماعات أخذت الكثير من وقتي حتى بالكاد كنت أستطيع العودة إلى المنزل كل مساء لأقرأ لابنة أختي حكاية سندريلا قبل النوم.»

«هل أقمت في منزل شقيقتك؟»

«ان لدينا انا وباتريشيا وسوزان منزلاً وسط تسعة فدادين.»

أحست مارغريت بكراهية ماتيو للحديث عن حياته في لوس انجلس. فسألته بسرعة: «وهل تقرأ لابنة أختك نفس حكاية سندريلا كل ليلة؟»

فأوماً باسمياً بينما أخذت هي تفكر في جوانب ماتيو المختلفة التي رأتها فيه. رئيس العمل المتعاون، الرفيق الدائم المزاح، الصديق المخلص وتصورته يقرأ صابراً، حكاية قبل النوم لطفلة في الثالثة من عمرها، وغمرت هذه التصورات نفسها بالمشاعر. لقد كانت صورة ماتيو، الرجل تحتل المزيد من افكارها، طاردة صورة ماتيو المتعامل بأمور الشحن.

عادا إلى الملف وحدثته هي قليلاً عن كل واحد من العشرة أولاد الذين كانت تعلمهم.

عندما وصلا إلى الصورة الأخيرة، نظر ماتيو إليها قائلاً: «انك تحبين عملك كثيراً، أليس كذلك؟»

فأومات بينما تابع يقول: «تماماً كما أحب انا الشحن.»
اخذت انفاسها في حلقها، هل قال ذلك تحدياً منه لها؟
والتفت ماتيو اليها قائلاً بلهجة جادة: «لقد تسلمت شاحنة صنعت حديثاً في لوس انجلس، هل لك ان تأتي غداً لنجربها معاً، يامارغريت؟»

فابتلعت مارغريت ريقها غير قادرة على السيطرة على الخوف الذي تملكها.

وعاد هو يقول بعد لحظة صمت: «إذا كنت تشعرين بأن ليس بإمكانك هذا، فسأفهم شعورك.»

فهزت مارغريت رأسها: «سأتي معك.» وكان صوتها يمتزج فيه الخوف بالتصميم. لقد حان الوقت لتتوقف عن الهرب.

الفصل الثامن

نظرت مارغريت إلى كومة الثياب على السرير، وتأوهت، ثم مالت نحو المرأة تنظر إلى صورتها فيها. لم يكن البنطلون الجينز والقميص اللذان ترتديهما، لائقين وكذلك لم تكن ملابس الخروج الأخرى التي لديها. ونبهها إلى ما حولها قرع على الباب. كان تيمي واقفاً عند العتبة وقد بدا عليه الضيق.

«أدخل يا تيمي.»

لم يتحرك من مكانه وهو يقول: «فقط أريد أن أقول إنني آسف لخروجي عن الأدب الليلة الماضية.»

«لا بأس، أظنني كنت أبدو، من وجهة نظرك، على شيء من المبالغة بالنسبة إليك.»

أرادت أن تتوسع في الشرح، عن خوفها من أن تفقده، ولكنها خافت من أن تثير عداوة مرة أخرى.

«عليّ أن أذهب وإلا تأخرت عن عملي، إلى اللقاء.»

«إلى اللقاء..» لم تكن تستطيع أن تقول شيئاً آخر، فقد توارى تيمي.

«إنّ فانت هنا.» قالت ذلك العمة جانيت وهي تدخل الغرفة بعد ذلك بدقائق. «لقد كنت أعجب لما أسمعته من أصوات آتية من هنا منذ ساعة، هل تجمعين بعض الملابس للتصدق بها؟»

فقالت مارغريت: «كلا، ولكنني أختار ما سأرتديه.»

وأخذت تبحث خلال كومة الملابس عن وشاحها.

«إلى أين أنت ذاهبة؟ كل مرة تبدو غرفتك فيها وكأن زلزالاً قد حدث، أدرك أنك تهتمين بعمل شيء.»

سألته مارغريت: «هل هذه هي عادتي، حقاً؟»

أومات العمة، بينما قالت مارغريت وهي تلقي بأشياءها على الأرض: «أتظنين هذا الثوب غير مناسب؟»

«هذا يتوقف على المناسبة التي ترتدينه فيها.»

«إنني ذاهبة للنزهة مع ماتيو في إحدى شاحناته.»

لم تر مارغريت كيف رفعت عمتها حاجبيها، وهي تقول: «إنه جميل، عليّ أن أذهب الآن، أظنني سمعت رنين الهاتف.»

فرفعت مارغريت بصرها بدهشة، وهي تحمل وشاحها بيدها، أي هاتف سمعته عمتها؟ فالهاتف الملحق والموجود في غرفتها لم يصدر عنه صوت، نظرت إلى صورتها في المرأة وهي تعقد وشاحها حول عنقها. لقد كانت الهالات القاتمة حول عينيها شاهدة على الليلة الحافلة بالقلق التي أمضتها.

وبدا وكأن صورتها في المرأة تسألها: «أما كان أسهل عليك لو أخبرت ماتيو بعدم رغبتك في الخروج معه؟»

«حسناً...» ألقته مارغريت الوشاح من يدها وتناولت بدلاً منه جاكيت قطنية خفيفة ثم اتجهت نحو الباب. كان ذلك أسهل، طبعاً ولكن السهولة ليست من سمات الحياة.

أخذت مارغريت تنظر إلى ماتيو وهو يوقف السيارة أمام المطعم، وقد جفّ فمها، وفكرت، في أن ليس بإمكانها أن تقوم بذلك، لقد كانت شاحنة أبيها ذات لون أبيض وأسود. أما هذه فكان لونها أزرق وفضياً، وكان شكل

الغطاء مختلفاً كلياً، ولكن المخاوف القديمة المألوفة ثارت بمجرد النظر إليها ما سفرها في أرضها.

أشاحت بوجهها عندما قفز ماتيو من الشاحنة ثم تقدم نحو المطعم.

عليّ أن أذهب إلى عمتي، وهي ستعذر له بأنني مريضة أو بأي شيء.

ولكن نباح جرو أوقفها في مكانها، واستدارت ببطء، كان ماتيو يحمل بين يديه حزمة من الفراء تحديق منها إليها عيانان كخرزتين قامتا وسط وجهه يغطيه شعر كثيف.

سألته وهي تنظر إلى الجرو: «أين وجدته؟»

«كان يطوف تائهاً حول موقف الشاحنات.»

«أتظن أن هناك من هجره؟»

فهز ماتيو كتفيه: «هذا ممكن.»

«كان يمكنك أن تستدعي جمعية الرفق بالحيوان لتأتي وتأخذه.»

قال وقد بدا عليه شيء من الارتباك: «رأيتُه صغيراً للغاية.»

«أظنه جائعاً.» وأحضرت مارغريت طبقاً وعلبة حليب. وضع ماتيو الجرو على الأرض وأخذ الاثنان يراقبانه وهو يشرب الحليب واضعاً مخلبه في الطبق وكأنه يخاف أن يهرب منه.

ابتسمت مارغريت: «أظن لدى عمتي سلة قديمة لم تعد تستعملها، وهي تصلح فراشاً حسناً له. سأذهب وأحضرها له.»

عادت بالسلة ووسادة قديمة لتجد ماتيو قد خرج بالجرو إلى الفناء.

وقال لها: «لم أكن أريده أن يشيع الفوضى في المطعم. هل تمانعين في أخذه معنا؟»
«كلا طبعاً.»

فوضع الجرو في السلة ومن ثم في أرض الشاحنة، ثم استدار إلى حيث فتح لها الباب، ثم رفعها إلى أول درجة وهو يحذرهما قائلاً: «انتبهي إلى رأسك وأنت تدخلين.» وأخذت تتفحص داخل الشاحنة. خلف مقعديهما المنفصلين في الأمام، كان هناك مقعد آخر مستطيل، وخلفه كان يوجد ستار.

صعد ماتيو ثم انتقل إلى المقعد الخلفي وقال: «تعالى وانظري.» وكان في صوته كل زهو صبي يعرض لعبة جديدة. فوقفت، ثم دخلت إلى المقعد الخلفي بينما كان هو يزيح الستار إلى جانب. وأخذت تحديق إلى السرير المزدوج الذي كان يحتل معظم المساحة في الشاحنة.

قال بزهو يذكر كل الملحقات الموجودة: «ستيريو، تلفزيون، فيديو، ثلاجة.» وسحب درجين كبيرتين من تحت السرير. «هنا يمكنك وضع ملابسك حتى انه يوجد باب خاص تدخلين منه. إنه بيت بعيد عن البيت.»

قالت وهي تعود إلى مقعدها: «هذا جميل جداً.»

فقال: «عندما يكون هناك سائقان في الرحلات الطويلة، أحدهما ينام، عادة، بينما يستلم الآخر القيادة. فوجود سرير يوفر الوقت. حتى ولو كان السائق وحده، يمكنه أن يوقف شاحنته في منطقة استراحة، ثم ينام متى شعر بالتعب، دون أن يكون ثمة حاجة إلى أن يبحث عن نزل يبيت فيه ليلته.»

عندما تحركت بهما الشاحنة، أخذت هي تنتظر من النافذة. جلست متوترة ويدها متقبضتان، قد تصاب بالغثيان في أي لحظة. وعندما دخلت الشاحنة الأوتوستراد ظلت هي تنتظر.

وشيناً فشيناً، أخذت الذكريات تطفو من أعماقها. أمها تقرأ لها بينما الشاحنة تنطلق على الأوتوستراد. وهي في المقعد الخلفي ترسم، أو تحيك وشاحاً لدميتها، والدها يوقف الشاحنة عند المعرض وذلك ليتمكنها ركوب الأرجوحة. تيمي، جالساً على كتفي والده، وهو يقول: «انظري، يا مارغريت إنني الآن أطول قامة منك.»

طرفت مارغريت بأجفانها تحدث نفسها وكأنها قد اكتشفت شيئاً: لقد كنت سعيدة بركوب الشاحنة معهم، سعيدة جداً.

فابتسم ماتيو. لقد تطورت الأمور بشكل أفضل مما كان يرجو، لقد كانت عمته جانيت اتصلت به قبل أن يغادر مكتبه، وجعلته يعدها بأن يعيد مارغريت إلى البيت إذا بدا عليها أي أثر من الكآبة. وماتيو نفسه تملكه الضيق وهو يتساءل عما إذا كان سبب لمارغريت ضغطاً على أعصابها بدعوتها للخروج معه، ولكن كلماتها هذه طمأنته إلى أن كل شيء سيكون على ما يرام، وطفقت صورة أخرى من الماضي تذكرها بأن ليس كل ذكرياتها المقترنة بالشحن كانت سيئة.

وسمعها تقول: «إن حزني لموتهما قد أقفل ذهني عن كل شيء آخر، كيف حدث ونسيت كل تلك الأوقات السعيدة التي أمضيها معاً؟ لقد كان أبي يسرّ كثيراً عندما كنا نتمكن

جميعاً من مرافقته في إحدى رحلاته الطويلة. وأنا أيضاً كنت أحب ذلك.»

ومن الراديو، أخذ صوت حزين يندن بكلمات عن الحب والألم، ولكن ماتيو أقفله.

«كانت أمي ترافقه غالباً في رحلاته لأنه كان سائق رحلات طويلة. كان من الصعب عليها أن تتركنا في البيت، ولكنها أخبرتني عن الوحشة التي كان يشعر بها أبي في الطرقات إذا لم تكن معه، ولولا مرافقتها له لما كانت رآته سوى مرة في الشهر، لقد سمعتها تخبر العمّة جانيت مرة بأن أصعب ما كان عليها أن تفعل هو الاختيار بين زواجها وأولادها، لم أفهم في ذلك الحين، ولكنني أفهم الآن، وأنا مسرورة لأنها كانت قررت مرافقته.»

عندما انتهت مارغريت من حديثها، ساد الصمت فترة إلى أن مال ماتيو إلى الأمام وضغط زرّاً، وعلى الفور تعالى صوت يقول: «هنا الذئب الوحيد هنا الذئب الوحيد. هل هناك من يسمعي؟ ما زالت أمامي أميال دون أن أتكلم مع أحد، وأوتار صوتي ابتدأت تضعف.»

نظرت مارغريت إلى الراديو بينما رفع ماتيو السماعة: «هنا بدوين الثاني يا الذئب الوحيد. إلى أين أنت ذاهب؟»

«إلى سان فرانسيسكو، وأنت؟»

«فقط على امتداد الشاطئ. فنحن في نزهة.»

«آه، نعم، من معك؟ حبيبك؟»

«ليس تماماً.» وتبادل مع مارغريت ابتسامة: «ولكنني أعمل في سبيل ذلك.»

فاحمر وجه مارغريت، وأشاحت بوجهها تنتظر من النافذة.

«حسناً، بإمكانها أن تقول مرحباً لسائق عجوز.»
ناولها ماتيو السماعة، فأخذتها منه وهي تقول:
«مرحباً.»

«مرحباً يا عزيزتي، هل لديك اسم للنداء؟»

ترددت مارغريت لحظة ثم قالت: «كلا.»

«يجب أن يكون لك ذلك. ألا تستطيع التفكير في اسم لها، يا بدوين الثاني؟»

نظر ماتيو بظرف عينه إلى مارغريت، وقال: «حسناً، إن لديها أحياناً نظرة تعني إلزم مكانك.»

قال الذئب الوحيد مقترحاً: «ما رأيك باسم الثلج الأبيض؟»

وضحكت مارغريت. فقال ماتيو: «إن لها شعراً أحمر رائع الجمال، فاسم الثلج الأبيض لا يناسبها.»

«ما رأيك باسم الوردة الحمراء، إذن؟ لقد قرأت قصة بهذا الاسم لحفيدي الليلة الماضية، إنه في الثالثة من عمره. إنني

أخبتها دوماً، ولكنه لا يلبث أن يعثر عليها. تبا لي إذا كنت أعرف لماذا يريدني أن أقرأ له هذه الحكاية نفسها كل ليلة.»

قال ماتيو وهو يناول مارغريت السماعة: «إن اسم الوردة الحمراء جميل جداً.»

فقال الذئب الوحيد: «أهلاً بك في الأسرة، يا الوردة الحمراء.»

فسألته: «الأسرة؟»

«نعم، فنحن سائقى الشاحنات، أسرة كبيرة، انتبهى إلى أنني لا أقول سعيدة، لأننا لسنا دوماً سعداء، ولكننا في الطرق، عندما نشعر بالوحدة لا يكون أمامنا سوى الأصوات

الأخرى، إن قيادة الشاحنة من ثماني إلى عشر ساعات يومياً تجعلنا نشعر بوحدة بالغة نحن سائقى المسافات الطويلة. بعضنا ليس لديه من ينتظره في بيته، واتصالاتنا الوحيدة هي أثناء الشحن والتنقلات.»

فسألته: «منذ متى تعمل سائق شاحنة؟»

«منذ أربعين عاماً. ابتدأت منذ كنت في العشرين، ولم أشأ أن أقوم بعمل آخر قط، لقد تركتني زوجتي لأنها لم تكن

تراني مطلقاً، ولكن ابنتي متفهمة لوضعي هذا، وبين الرحلات أقيم عندها. إن هذه الشاحنة هي عندي أغلى من

كل شيء آخر في العالم. وأنا أرجو أن أموت فيها.»

لقد كان والدها يشعر نحو عمله بنفس الشيء هو أيضاً. لقد سمعته مرة يقول: «على الرجل أن يزاوِل العمل الذي

يحبه ليستطيع أن يمنحه أفضل ما لديه.»

«أي نوع من العمل تقومين به، يا الوردة الحمراء؟»

واستمع ماتيو إلى مارغريت وهي تصف عملها. كان صوتها يفيض حوله فيغمره برقته. كان يوضح لمن

يعرفهن من النساء أنه لا يريد علاقة طويلة الأمد، أما مع مارغريت، فهو يريد أن يبني قصوراً في الهواء، ولكن ماتيو

كان يعلم أن الأحلام لا يمكن أن تبقى معلقة في الهواء. إنها بحاجة إلى أساس متين صلب. أما ما لا يعرفه فهو ما إذا

كان لديه ما يصلح لبناء هذا الأساس.

قال ماتيو: «عليّ أن أتركك الآن، يا الذئب الوحيد، فإن

عليّ أن أتوجه من هنا نحو البحر على الطرق الجانبية.» فقال الذئب الوحيد: «إنني أعرف مكاناً حسناً، عند رقم

١٠١، بدلاً من أن تعبر الأوتوستراد، توجه جنوباً نحو ميل

ونصف، ثم قف في مركز الاستراحة هناك ومن ثم انزل المنحدر الذي خلفه، وعندما تصل إلى الشاطئ، استدر إلى يمينك فترى خليجاً صغيراً متوارياً عن الأعين كما في الأفلام، إنني لم أخبر أحداً غيرك عن هذا المكان، ولكن الوردة تستحق جلسة رائعة.»

فقال ماتيو: «شكراً يا الذئب الوحيد.»

قالت مارغريت: «إلى اللقاء.» وترددت برهة ثم عادت تقول: «أتمنى لك عملاً سعيداً في الشحن.»

فقال الذئب الوحيد أمراً: «استمتع بوقتك مع الوردة الحمراء يا بدوين الثاني، فالشباب لا يأتي مرتين.»

قادتها تعليمات الذئب الوحيد مباشرة إلى المكان المنعزل ذاك. وكانت المياه تتلاطم مزبدة في تدافعها إلى الشاطئ، كانت الرمال ناعمة للغاية، ما شعرت مارغريت معه

بأن قدميها تغوصان فيه. وكان الجرو يهمهم بين ذراعيها.

قال ماتيو: «ضعيه على الأرض، فهو لن يضيع هنا.»

وأخذ الجرو يتخبط في الرمال الناعمة محاولاً أن يحتفظ فيها بتوازنه، وجعلت جهوده هذه مارغريت تبتسم ثم تقول لماتيو: «هل فكرت في اسم له؟»

فسألها: «ماذا تظنين في اسم رملي؟»

ضحك الاثنان بينما جلس الجرو فجأة وقد أدار رأسه إلى ناحية، محاولاً أن يفهم الشيء الذي بين أقدامه. كان اسم رملي مناسباً جداً له.

مد ماتيو بساطاً على الرمال بينما أخذت هي تنظر بدهشة وهو يأخذ في اخراج وليمة من السلة التي كانت

العمة جانيت قد زودتها بها، كان هناك الخبز وسلطة

الدجاج ومجموعة متنوعة من الفطائر وتيرمس يحتوي على شاي وكعك بيتي، وكيس من البطاطا المقلية.

فقالت مارغريت مازحة: «أترانا لن نعود أبداً؟»

نظر إليها بجد. وعندما تشابكت نظراتهما، خفق قلبها. ومنحها زعيق طائر النورس العذر في أن تحول نظراتها

بعيداً. كان الطائر في الواقع، يطارد الجرو.

فركضت مارغريت تحمل الجرو الذي كان يهمهم، وهي تقول له برقة: «هل يخيفك ذلك الطائر؟» وعندما رفعت

بصرها رأت ماتيو ينظر إليها ضاحكاً، فسألته: «ما الذي يضحكك؟»

«أتعلمين أن لهجتك هذه هي نفسها التي تخاطبين بها ميكي؟»

فسألته بارتباك: «أي لهجة؟»

«هذه اللهجة الناعمة المناغية.» قال ذلك وهو يسكب الحليب من علبة في طبق من البلاستيك للجرو. «لا شك أن

ميكي تظن أنها هي وحدها ملهمة هذا النوع من الحنان.» ضحكت مارغريت وهي تجلس على البساط. نظرت إلى

الطبق ثم إلى وجه ماتيو: «ماتيو، متى حصلت على الجرو بالضبط؟»

ولاحظ هو أن بصرها كان على علبة الحليب الكرتونية التي في يده. وهذا يعني أنه قد كان أحضر معه الحليب

وطبق البلاستيك مع أن المفروض أنه وجد الجرو في آخر دقيقة أثناء حضوره لأخذها من بيتها.

وأجاب: «صباح أمس.»

«لماذا أحضرتك معك إذن؟»

فقال ببطء: «فكرت في أنه قد يلهيك عن مخاوفك من ركوب الشاحنة. لقد أردته ملهارة لك.»

حتى قبل تحذير العمدة جانبيت له، كان هو قد فكر مرتين بما كان سيقوم به. وعندما رأى الجرو يعدو حول مكتبه، أحضره معه ليساعده في إلهاء مارغريت.

قالت له: «شكراً يا ماتيو.»

وعندما أنهى الجرو طعامه، حاول أن يتسلق ركبة مارغريت إلى حضنها، فأخذت تربت على رأسه. ومع أن مخاوفها العنيفة السابقة قد تبددت، إلا أنها ما زالت لا تستطيع أن تتخلص من الخوف مما قد يقود عمل أخيها في الشحن، إليه.

«ماذا جرى لك، يا مارغريت؟»

«إنني أفكر في تيمي. إنه لا يكاد يتحدث إلي، وأنا دوماً أحدث نفسي بأنني إذا لم أغير موقفني منه، فسأخسره ولكنني ما زلت لا أريده أن تكون له علاقة بالشحن.»

تنهد ماتيو: «كنت أرجو أن يغيّر هذا النهار رأيك.»

«لقد حدث ذلك، ولكن من ناحية واحدة فقط فقد اكتشفت أنني استمتع بركوب الشاحنة، ولا بد أن لدى تيمي ذكريات مثلي مدفونة في عقله الباطني، ما جعله مصمماً على اتباع الطريق التي يريدها، لا يبدو أن بإمكانني التحرر من مخاوفي أو أعبر الهوة التي بيننا.»

فقال: «التحرر من المخاوف ليس سهلاً أبداً، فمنذ سنوات قليلة كنت أنا في نفس الوضع الذي أنت فيه الآن.»

«حدثني عن ذلك.»

«عندما تخرجت شقيقتي سوزان من الجامعة، قررت أن تلتحق بقوات السلام، وكنت أنا ضد هذه الفكرة، إلى أن

أدركت أخيراً أنني أتصرف مثل أبي. وقد استغرق مني جهداً حقيقياً لكي أتذكر أن سوزان تميل إلى نفس الحرية التي أمضيت حياتي أتوق إليها، عند ذلك قلت لسوزان إنني سأساندها مهما كان ما تريده. فسافرت إلى افريقيا لمدة سنتين وكانت سعيدة جداً هناك. وهكذا كانت كل مخاوفي من أن يحصل لها شيء سيء جداً، كانت دون أساس.»

قالت مارغريت وكأنها تحدث نفسها، وبصوت يمتزج فيه الحزن بالغضب: «طوال السنوات التي مضت، لم يقل لي أحد شيئاً بشأن ترك تيمي وشأنه، العمدة جانبيت، تيمي، جو... كانوا جميعاً يشعرون بالأسى لأجلي، ما جعلهم يتركونني أستمر في الطريقة التي كنت عليها.»

«إنهم يحبونك كثيراً إلى حد لا يريدون أن يجرحوك، يا مارغريت.»

فهزت رأسها: «أما ما فعلته أنت، فقد كان مغامرة منك، لأن الأمر لا يخصك شخصياً.»

حدق ماتيو إليها، لقد حدثه شيء ما بأن أمرها أصبح يخصه أكثر مما كان يريد، لم يكن قد حلل بعد مشاعره نحو مارغريت... كل ما كان يعرفه أنها جذبتة أكثر من أي امرأة أخرى عرفها في حياته.

«لقد تحدثت مع تيمي عن الجامعة، وقد وافق على التقدم إلى الامتحان التمهيدي، لا يمكنني أن أعدك بأنه سيصبح مهندساً، ولكنني أخبرته كم ساعدتني شهادتي في مهنتي هذه.»

«شكراً يا ماتيو.»

لقد شعرت لذلك ببعض الارتياح، ففي الوقت الذي يحصل

فيه تيمي على شهادته قد يكون غير رأيه بالنسبة إلى الشحن.

فقال ماتيو: «لقد سألتني تيمي عما إذا كان بإمكانه أن يسافر في رحلة ليلية.»

خفق قلبها احتجاجاً للحال. ولكنها أرغمت نفسها على القول بهدوء: «أظنه سيستمتع بذلك.»

«لقد وعدته بعمل صيفي منتظم في شركة شحن بدوين عندما يدخل الجامعة. وبعد، فقد يعود فيرى أن الشحن لا يناسبه. ولكن الواقع هو أن التصميم على ذلك يجب أن يكون عائداً إليه وحده.»

فقالت: «أعلم ذلك.»

بعد أن لملموا حاجياتهم، خلع ماتيو حذاءه ومد يده إلى مارغريت: «دعينا نذهب لنتمشى.»

سارا على الشاطئ حيث كانت الأمواج تغسل أقدامهما. سألتها: «أتريدين أن نسبح شوطاً؟»

فأجابت: «أنا لا أحسن السباحة تماماً.»

وسمعا الجرو ينبح، فقالت: «سأتسابق معك إلى مكاننا.» وقبل أن تنهي تحديها ذاك كانت قد انطلقت راکضة. ومع هذا

فقد سبقها ماتيو، وعندما ألفت بنفسها على البساط، قالت وهي تلهث: «هذا ليس عدلاً. لأن ساقيك طويلتان.» ثم قالت

متذمرة: «عمتي جانيت دوماً تطعمني كثيراً.»

فقال: «لا تكوني حساسة لخسارتك هذه، يا مارغريت.» فنظرت إلى وجهه، وتشابكت نظراتهما.

ساد الصمت بينهما لحظة كانت المشاعر بينهما وحدها تتحدث. جلست وقد تملكها الاضطراب: «ماتيو؟»

«لقد أصبح الجو بارداً هنا، من الأفضل أن نذهب.» نظرت غير مصدقة وهو يحمل السلة والجرو ثم يتركها ويسير مسرعاً.

نهضت مارغريت واقفة، ثم لمت البساط، لحقت به.

ما الذي جعلها تفصح عن مشاعرها نحوه بذلك الشكل؟ والتهب وجهها للذكرى، لقد طعنها رفضه لها في صميم كرامتها، ثم كيف خرقت هي ما كانت عاهدت نفسها عليه بأن لا تقيم علاقة بينها وبين رجل؟

صعدت المنحدر، متجاهلة يده التي مدها إليها لمساعدتها، ثم صعدت إلى الشاحنة حيث جلست مسندة رأسها إلى مسند المقعد وقد أغمضت عينيها. كان الشعور بالخزي يكاد يقتلها.

أخذ ماتيو يحدق في الطريق أمامه وقد قطب حاجبيه. وألقى عليها نظرة سريعة. كانت عيناها مغمضتين ورأسها على مسند المقعد الخلفي، وقد بدا عليها الضياع والوحدة.

الفصل التاسع

«أنا آسف، يا مارغريت..»

لكنها ظلت مغمضة العينين، كانت كلماته هذه مجرد تصورات من مخيلتها، تماماً كما كانت تصورت أنه يحبها. «يجب ان نتحدث يا مارغريت..» ولكنها بقيت صامته. «مارغريت، انني أريدك بنفس المقدار الذي تريدني فيه..» فتحت عينيها ونظرت إليه وهو يقول: «هل غيرت رأيك بالنسبة لعدم رغبتك في إقامة علاقة شخصية بما يتصل بالشحن؟»

فقال ببطء: «لا أدري..»

«انني رجل شحن في اعماقي، يا مارغريت، وقد كنت مؤخراً مشغولاً بإنشاء شركة موقف الشاحنات، ولكن بعد ان تستقر أموري وأستأجر المزيد من الموظفين، سأعود إلى قيادة إحدى شاحناتي من وقت لآخر. فهذا ما أحبه أكثر من أي شيء آخر، فإذا ما أردت ان نتجح علاقتنا، فعليك ان تقبلي بي كما انا، خمسة وسبعين في المائة رجل شاحنات، وخمسة وعشرين في المائة شخصية اجتماعية..»

لم تنطق مارغريت بكلمة، بينما تابع ماتيو يقول: «كان سهلاً علينا ان نأخذ الآن ما نريد، ثم نفكر فيما بعد، ولكنني لا أستطيع ان افعل شيئاً كهذا، ذلك انني طوال طفولتي كنت أرى ما كان يحدث في مثل هذه الحالة، فأنت لست من النوع الذي يمر بعلاقة عاطفية دون ان يصاب بأذى، أو ان تبدأي

بها لفترة مؤقتة، كما أنني لست مستعداً بعد للإلتزام الدائم. فنحن الاثنين لدينا مشاكل شخصية علينا ان نحلها أولاً..» ما كان لها ان تستاء من طريقته الواضحة في تحليل الموقف. فالدروس التي انطبعت في ذاكرة ماتيو عندما كان طفلاً جعلته كما هو عليه الآن... غير عادي، ومختلفاً عن غيره، وفريداً بين الرجال.

«لكنني لا اريد التزاماً دائماً..» في اللحظة التي خرجت فيها هذه الكلمات من بين شفتيها، ازدرت ريقها. كانت تريده ان يفهم انها لا تريد ان توقعه في فخ الزواج، ولكنها جعلته يفهم الآن ان كل ما تريده هو علاقة عاطفية دون ارتباط.

اغمضت عينيها، هل تخبر ماتيو بأن أعرق مخاوفها هي ان تفقد أولئك الذين تحبهم؟ وان تجنب الحب هو ضمانها الوحيد ضد الألم؟ وانها مادامت مشاعرهما محبوسة، ومادامت لا تعتمد في سعادتها على احد، فهي آمنة؟ تساءلت عما ستكون ردة الفعل عنده فيما لو افصح له عن افكارها هذه، ولكن العناد أبقاها صامته. فهذه مشكلة ستقوم هي وحدها بحلها.

سألته: «هل استطعت القبض على أولئك الذين يسرقون من شاحناتكم؟»

كانت تريد ان تحول الموضوع عن الناحية الشخصية، ويبدو انه أحس بذلك فقال: «لدي احساس بأن ذلك يحدث في موقف شاحنات معين بالقرب من فيغاس، ان سائقي شاحناتي يراقبون تلك البقعة، ولكن لم يقبض على احد حتى الآن. وفي الأسبوع الماضي وجد صندوق يحتوي على أجهزة الكترونية،

مفقوداً من إحدى شاحناتنا، ان شركة التأمين ستعوض المسروقات هذه، ومع ذلك فما يحدث يقلقني.»

وتساءلت مارغريت عما ينوي ماتيو عمله إذا هو ألقى القبض على اللصوص، هل سيعود إلى لوس انجلوس؟ لقد اصبح الصيف في منتصفه وسرعان ما سيكون عليها هي العودة إلى واشنطن.

مال ماتيو إلى الأمام وضغط مفتاح الإذاعة المحلية، واخذت مارغريت تستمع إلى الأصوات تتناقش في لعبة كرة السلة التي اقيمت الليلة الماضية، وفجأة، تدخل صوت يقول: «انتباه، انتباه، هنا سائق شاحنة في ورطة في طريق براون شمال سان لويس اوبسيكو عند الكيلو ١٠١ الأوتوستراد، هل يوجد احد في هذه المنطقة؟»

نظرت مارغريت إلى ماتيو وهو ينحني يلتقط السماعة: «هنا بدوين الثاني. انني ابعد عنك مسافة عشر دقائق وما أنذا متوجه اليك على الفور.»

قاد الشاحنة بصمت مركزاً نظراته على الطريق وبعد ذلك بخمس دقائق، وقع بصرهما على شاحنة، وقف ماتيو خلفها وهو يطلق صغيراً طويلاً، كانت حمولتها مائلة بدرجة خطيرة، ولا شك ان السائق كان محظوظاً إذ لم تنقلب.

قال لمارغريت وهو يترجل من الشاحنة: «إبقي هنا.»
تفحصت أمر الجرو، ثم فتحت الباب بجانبها، ربما بإمكانها ان تساعد بشيء.

اقترب ماتيو من السائق ومد إليه يده، وهو يقول باختصار: «انني ماغنوم، كيف حدث هذا؟»

وبينما كان السائق يوضح له الأمر، رأت مارغريت امرأة

وصبياً يجلسان على جانب الطريق، وكانت اعينهما السوداء تحديقان إليها بقلق، ولكنهما لم يبادلاها ابتسامتها.

سألتهما برقة: «هل انتما بخير؟»

لكنهما بقيا يحديقان فيها بصمت، ما جعلها تدرك أنهما لا يحسنان الانكليزية، وكانت معرفتها هي بالأسبانية محدودة، ونظرت إلى حيث كان ماتيو والسائق يفحصان الحبال التي تثبت الحمولة إلى الشاحنة.

ثم عادت بنظراتها إلى المرأة والصبي فرأت الدموع في عيني المرأة، فقالت لها برقة: «لا تقلقي.»

حولت المرأة بصرها عنها وهي تحتضن طفلها، بينما نهضت مارغريت واقفة، كان الاثنان شاعرين بالبرد كما يبدو، في ثيابهما القطنية الخفيفة، فذهبت إلى الشاحنة واحضرت بطانية وسلت ثم عادت إلى المرأة والصبي حيث وضعت البطانية حول كتفهما ثم فتحت السلة واخرجت علبة الكعك، وعندما قدمتها له حملق فيها الصبي غير مصدق، ولكنه نظر إلى أمه يستأذنها أولاً، ثم اخذ واحدة، ثم سكبت مارغريت قهوة من الترمس في فنجان قدمته للمرأة.

قال ماتيو من خلفها: «سيمر بعض الوقت.»

«ما الذي حدث؟»

«الحمولة كبيرة جداً ولهذا اخذ السائق يسير في الطرق الجانبية في هذه الساعة، كان عليه ان يتجنب محطات الوزن التي تفحص وزن الحمولات، لقد قال ان الشاحنة كادت تنقلب في آخر منعطف، ولو حدث ذلك لقتلت أسرته على الأرجح، هذا عدا الخطر الذي كانت ستعرض له بقية السيارات والركاب،

وسيمر بعض الوقت قبل ان نتمكن من احكام ربط الحمولة مرة أخرى، أرجو ان لا تمنعي في ذلك.»
لم تكن مارغريت قد رأت ماتيو قط من قبل في مثل هذا الغضب، واجابت: «انا في أحسن حال، استمر واعمل ما تراه مناسباً.»
عندما ابتعد ماتيو سمعت مارغريت نباحاً حاداً من داخل الشاحنة. ونظر الصبي إلى ناحية الصوت وقد ملأ العجب عينيه، فذهبت مارغريت واحضرت الجرو تضعه بجانب الصبي.
فنظر هذا إليها، ثم مد يده يربت على الجرو متردداً، وقد تبدل هدوء ملامحه إلى ابتسامة عريضة.

وأشارت هي إلى الجرو تقول: «رملي.»
فأشرق وجه الصبي وهو يكرر في أثرها: «رملي.» ثم يشير إلى نفسه قائلاً بخجل: «جوان.»
فقالته: «مرحباً، يا جوان.»
وبعث ضحك الصبي ابتسامة مترددة إلى وجه أمه، جلست مارغريت بجانبهما تسكب للمرأة فنجان قهوة آخر، وتتنظر إلى جوان يلعب مع الجرو.
مضت ساعة قبل ان ينتهي ماتيو والرجل من العمل ويقبلا نحوهم.

سمعت الرجل يقول مرتين: «شكراً كثيراً يا سنيورا.»
أجاب ماتيو باقتضاب: «لا بأس.» وكان الغضب مازال يبدو في صوته.
وقف بجانبها ونظر إلى الصبي الذي كان يحمل الجرو بين ذراعيه، بينما كان الرجل يتحدث إلى زوجته بالأسبانية.
وعندما فرغا من الحديث، قال ماتيو يقدمهما إلى بعضهما البعض: «هذا رامون، يا مارغريت.»

قال رامون: «لم تمض علينا في هذه البلاد مدة طويلة. فزوجتي وابني لا يعرفان الانكليزية، ولكن زوجتي تقول ان لطفك مفهوم بكل اللغات يا سنيورا ونحن جميعاً نشكرك.»
وقال رامون شيئاً لابنه، فبدا الاكتئاب على وجه هذا وهو ينظر إلى الجرو الرقاد بين ذراعيه. ورأوا شفقيه ترتجفان وهو يحتضن الجرو لآخر مرة، تبادلت مارغريت النظرات مع ماتيو، وعندما رفع هذا حاجبه يسألها، أو مات هي إيجاباً فقال للرجل: «إذا كان ابنك يحب ان يأخذ الجرو، وإذا كان بإمكانك انت ان تعتني به جيداً، فأنا اعطيه له.»

رأت مارغريت وجه الصبي يشرق والده يترجم له ما قاله ماتيو، بينما ابتسمت الأم والأب يلتفت اليهما: «شكراً يا سنيورا، ان ابني يشعر بالوحدة منذ غادرنا مكسيكو، ربما الجرو سيجعله سعيداً مرة أخرى.»

ساعد زوجته وابنه في الصعود إلى شاحنته، بينما وقفت مارغريت إلى جانب ماتيو، وأخذوا ينظران إلى الشاحنة وهي تبتعد بعد تكرار الشكر لهما.
استدار ماتيو إليها: «هل انت متعبة؟»

فهزت رأسها: «انني مسرورة لتمكننا من المساعدة.» وإذ تذكرت القلق في وجه الزوجة، والخوف في وجه الصبي، تمننت لو يجد هؤلاء المهاجرون الحياة اكثر يسراً، وإذ نظرت إلى ماتيو لاحظت توتراً في ملامحه، فسألته: «لماذا انت غاضب؟»
«انني غاضب من رئيس كالذي لدى رامون. رجل يغامر بحياة الآخرين فقط لكي ينقل حمولة اكبر ليكسب مالا أكثر، مثل هذا الرجل يجب ان تقدم به شكوى. فهو من النوع الذي يرغم مرؤوسيه على العمل ساعات اطول، وتزييف سجل

السرعة التي يسيرون بها، والسائقون امثال رامون هم جدد يخافون تقديم شكوى به إلى السلطة المختصة، وأراهن على ان رامون لا يحصل حتى على أجر منتظم.»

فسألته: «وماذا بإمكانك ان تفعل بهذا الشأن؟»

أجاب: «لقد حصلت من رامون على اسم المسؤول، وانا سأتصل به هاتفياً وأخبره بأن سائقي شركتي سيراقبون شاحناته بصورة دائمة فإذا لم يبدأ بالاستجابة إلى ضرورات الأمان للسائقين على الفور، فسأتقدم بشكوى ضده، فهو لطخة سوداء على الصناعة.»

أخذت مارغريت تحديق من النافذة، وفكرت في ما كان ماتيو قاله في الماضي: «انني اهتم بك وبتيمي كما يهتم أي رجل شريف بالآخرين.»

فاهتمامه لا ينحصر فقط بالناس الذين يعرفهم، بل يمتد إلى كل انسان مهما كان جنسه ولونه، انه من نوع نادر من الرجال في عصر لا يكاد الناس يفكرون في ما هو بعيد عن ذواتهم.

اخذت مارغريت تهز ميكي في كرسيها بينما كانت جينا تطوي الملابس المغسولة.

سألته مارغريت وهي تراها صامته على غير عادتها: «كيف الحال بينك وبين جاك؟»

«كل حديثه ينحصر في الشحن، انني اعرف اننا بحاجة إلى المال، ولكن جاك يعمل وكأن رئيس البلاد قد جعله مسؤولاً عن الوطن.»

في طريقها عائدة إلى بيتها، اخذت تتساءل عما إذا كان عمل جاك هو المسؤول عن مشاكله مع زوجته، وتذكرت

كلمات ماتيو: «انني سائق شاحنة خمسة وسبعين بالمائة، وخمسة وعشرين بالمائة شخصية اجتماعية.»

أمضت مارغريت المساء في تفصيل ثوب لها، ثم نزلت بعد ذلك إلى الحديقة، كان تيمي في الخارج كما كانت العمه جانيت تتحدث إلى أحد زبائن المطعم.

كانت تتصفح مجلة عندما لفت انتباهها حركة عند الباب، ورفعت رأسها في نفس الوقت الذي كان فيه تيمي يتراجع بسرعة. شعرت بغصة في حلقها، يبدو ان شقيقها مصمم على تجنبها، لم تر جمال هذا المساء الصيفي الرائع، كل ما كانت تراه هو الخوف الكامن في قلبها من ان تيمي يزداد ابتعاداً عنها كل يوم، وتحداها عقلها بأن تنظر إلى الوضع من وجهة نظر الاثنين.

(كيف بإمكانني رعايته إذا هو لم يشأ ذلك؟)

(هذا الوضع لن يدوم مدى الحياة، رغم انك تظنين ذلك، فإن تيمي ناضج إلى حد يكفي ليكون مسؤولاً عن حياته.)

(وماذا لو فشل؟)

(عليه ان يتعلم كيف ينهض من كبوته، وينفض عنه الغبار، ثم يتابع حياته.)

سمعت صرير بوابة الحديقة فرفعت رأسها: «ماتيو.»

«مرحباً، يا مارغريت.»

كانت ترتدي ثوباً بلون القشدة فبدت له جذابة للغاية، وقالت له: «إن عمتي في المطعم.»

قال وهو يناولها وردة اقتطفها من حديقته: «انني جئت لأراك انت.» لقد كانت رقعة هذه الوردة ذكرته بمارغريت... فهي ناعمة رقيقة خجول مثلها.

لم ير الخجل من قبل من أي امرأة ممن عرفهن، ونظرت هي إلى الوردة ثم إليه وقد صبغ الاحمرار وجنتيها: «شكراً، يا ماتيو، هل تتفضل بالجلوس؟»

جلس بجانبها متجاهلاً الكرسيين الخشبيين الحمر اوين. سألتها بمرح: «ماذا فعلت هذا النهار؟»

«ليس الكثير، امضيت فترة العصر مع جينا وميكي، هل لاحظت شيئاً غير عادي بين جينا و جاك؟»

«كلا، لماذا؟»

«ان جينا قلقة من ان يتلاش حب جاك لها.»

فقال: «يا للسخافة، لماذا؟ انه يجهد نفسه في العمل لكي يوفر لها وللطفلة كل ما تريده.»

«ولكنه نادراً ما يتحدث معها، يا ماتيو.»

«هذا لأنه دوماً بعيد في عمله، ان جينا لا تشعر بالأمان لأن كل النساء يكرهن فقدان السيطرة على احد.»

فقالت بحدة: «إياك ان تحاول مقارنة جينا بالنساء اللاتي عرفتهن، فهي لا تحاول السيطرة على جاك.»

«ما الذي تحاول ان تفعله إذن؟»

«كل ما تريده هو ان يقلل من عمله، ويمضي معها ومع طفلهما مزيداً من الوقت.»

أنذره البريق الذي في عينيها بانه اصبح في ورطة فحاول ان يغير الموضوع: «ربما عندما يأتي إلى بيته يكون متعباً لا طاقة له على الكلام.»

«كم يأخذ من الطاقة ان يقول: «احبك.»»

نظر إلى عينيها البراقتين وسألها: «هل قال لك أحد هذه الكلمة، يا مارغريت؟»

«ك... كلا.»

وتساءل ماتيو عما سيكون عليه الأمر لو انه قال لها هذه الكلمة، ولكنه لا يستطيع ان يقولها حتى تدل هذه الكلمة على حب يبقى معهما بقية حياتهما.

جاءهما صوت جانيت التي خرجت إلى الحديقة: «ها أنتما هنا، ما اجمل ان اراك، يا ماتيو. ويسرني ان اراك ترتاح بعد العمل الشاق الذي تقوم به. ان ماك يقول لي انك رغم انك مستأجر غرفة في نزله بصورة دائمة، الا انك تعيش في الواقع في موقف الشاحنات.»

قال وهو ينظر إلى مارغريت: «الراحة غير ممكنة إلا في البيئة المناسبة ومع الرفقة المناسبة.»

فابتسمت له جانيت: «هذا صحيح، واظن هذا هو السبب في إصرار مارغريت علينا بأن نقوم برحلة إلى يوزميت بارك. انه المكان الوحيد الذي اجلس فيه دون ان افعل شيئاً.»

فقال: «من الصعب ان تصورك لا تفعلين شيئاً.»

سألته فجأة: «هل تحب ان تصحبنا إلى يوزميت؟ ان تيمي سيبقى هنا، ولكن الكابين الذي استأجرته مارغريت يتسع لأربعة اشخاص.»

لم يستطع ماتيو ان يرى ما ارتسم على وجه مارغريت، من تعبير إذ كانت منحنية على الوردة تشمها، وسأل: «متى تذهبان؟»

فأجابت العمدة: «اننا سنرحل يوم الاثنين بعد القادم، وسنقيم هناك مدة أسبوعين.»

«أخشى ان لا اتمكن إذن من الذهاب، إذ علي ان احضر مؤتمرين في تلك الحين.»

«لقد اخبرني جو انك اشتريت قطعة أرض هنا، فهل تنوي توسيع موقف شاحناتك؟»

فأجاب وهو يرى مارغريت تنظر اليه بدهشة: «كلا، بل أريد ان ابني بيتاً.»

فقالت جانيت: «يبدو من كلامك انك قررت البقاء في إنشواتر يا ماتيو.»

تردد ثم قال: «ان إنشواتر هي شيء ينمو في اعماق الشخص، كل انسان يخبرني انه صحيح ان إنشواتر لا تحوي الكثير، ولكن يبدو ان فيها كل ما أريده كل شيء يسير ببطء وطريقة الحياة فيها تجعل لدى الناس وقتاً لبعضهم البعض.» نهضت جانيت وقالت: «انها الساعة الثامنة وقد حان الوقت للمسلسل التلفزيوني الذي أتابعه، المعذرة.»

قبل ان يقول احدهما شيئاً، كانت قد ذهبت، ابتسم ماتيو لمارغريت، قائلاً: «لم أرها من قبل قط تركض بهذا الشكل.» «انه مسلسلا الذي تحب ولا تريد ان يفوتها شيء منه.» وسألها: «هل اتصل بك الدكتور إدواردز؟»

فهزت رأسها قائلة: «انه لا يتعجل في قراراته.» «ان معهداً هنا سيغير في إنشواتر اشياء كثيرة فمزيد من الوظائف سيحضر إلى هنا مزيداً من الناس، وقد يجذب من يحدث إنشاءات تتطور معها البلدة، هل تغير إنشواتر يزعجك يا مارغريت؟»

فهزت مارغريت رأسها: «لا اظن بلدتنا هذه ستصبح مدينة كبيرة يوماً ما، ولكن وجود معهد سيمهد الطرق لقدم تسهيلات تعودنا على العمل بدونها كل هذا الوقت، فسيكون جميلاً ان يكون لدينا مدرسة ابتدائية ومستوصف.»

«اذن فأنت لن تلوميني إذا ما تغيرت إنشواتر؟» «اتعني كما ألومك لعمل تيمي في موقف الشاحنات؟ لقد

اخبرتني عمتي الليلة الماضية عن مقدار قلقها عندما ابتدأ تيمي يخرج مع ذلك الفتى في محل دانز دوناتز.»

«هل وجدت فرصة تتحدثين فيها إلى تيمي وتخبرينه عما كنت اخبرتني به عند الشاطيء؟ وهو انه بعد ان يحصل على شهادة لن تمانعي في أي عمل يتخذه؟»

فهزت رأسها قائلة: «لم اخبره بعد، خفت ان اخطيء في قول شيء بطريقة تجعل استياءه مني يزداد.»

ازداد ماتيو اقتراباً منها ووضع ذراعه على حاجز الأرجوحة خلفها بشكل بدا لها طبيعياً، وأشعرها بالراحة والدفع.

ومن أعلى الهيلم، اخذت العمة جانيت تسترق النظر وتبتسم، وتساءلت متى يدرك هذان انهما خلقا لبعضهما البعض.

كانت مارغريت تغسل الخضر في الحوض، وذلك في الحادية عشرة من الصباح التالي، عندما رن جرس الهاتف، فلم ترفع بصرها «مارغريت.» جعلها صوت عمتهما تستدير اليها بعنف، كانت هذه واقفة بجانب هاتف المطبخ وقد شحب وجهها. فاندفعت مارغريت نحوها.

«ماذا حدث يا عمتي؟ هل يؤلمك شيء؟»

فقالت العمة بصوت أجوف: «انه تيمي.»

فصرخت مارغريت: «ما الذي حدث لتيمي؟»

«هذا الهاتف من شرطة لاس فيغاس، لقد ادخل تيمي إلى المستشفى لجروح بسيطة، انه مع احد سائقي ماتيو.» ألق

العمة بنفسها على كرسي وهي تتأوه قائلة: «لا أستطيع ان
احتمل إذا حدث لتيمي شيء.»

كانت مارغريت تعلم انها تحبها بقدر ما تحب أخاها
ولكن تيمي كان طفل جانيت المدلل.

وضعت مارغريت ذراعها حول كتفي عمته: «لا تقلقي،
لو كان الأمر خطيراً لأخبرك رجال الشرطة بذلك. اننا سنرحل
إلى لاس فيغاس على الفور.»

نظرت اليها عمته وقالت: «لا أستطيع الذهاب معك، لا
أستطيع أبداً. سأنتظر هنا بجانب الهاتف.»

أدركت مارغريت ان عمته تخاف من ان تجد الأسوأ، فقد
سلبت منها الدقائق القليلة الماضية كل حيويتها ما بدت معه
عاجزة كبيرة السن، تماماً كما بدت حين سمعت بموت
أخيها وزوجته، «آه، يا تيمي.» واغمضت العمة عينيها
وكانها تطرد افكاراً ساورتها.

اكتسحت مشاعر مارغريت موجة من الحب والرغبة في
التخفيف عن عمته فقالت: «سيكون تيمي بخير، سأخبرك
هاتفياً حالما أراه.»

فأومات هذه برأسها، بينما تناولت مارغريت حقيبة
يدها، ثم انحنى تقبل عمته، قائلة: «سأخبرك حالما اصل
إلى هناك. حاولي ان لا تدعي القلق يستبد بك.»

ثم هرعت إلى المطعم حيث اخبرت ستيسي وهي احدى
الموظفات حديثاً، بما حدث، فقالت هذه: «لا تقلقي بالنسبة
لعمتك، سأمكث معها إلى ان نسمع خبراً.»

شكرتها مارغريت وهي تندفع خارجة إلى حيث سيارتها
فصعدت إليها.

اسندت رأسها إلى عجلة القيادة فترة تحاول أن توقف
نفسها عن الإرتجاف. تصورت نفسها واقفة عند قبر
والديها مع تيمي وعمتها، كان وجه العمة جانيت في ذلك
الحين أشبه بما كان عليه منذ دقائق معدودة.

وصلت بعد أربع دقائق بالضبط إلى موقف الشاحنات.
وعندما نزلت من السيارة، تقدم ماتيو نحوها من حيث كان
يقف على درجات مكتبه.

فسألته: «هل سمعت شيئاً؟»

أجاب: «ان اصابات تيمي غير خطيرة، فقد تحدثت إلى
طبيب في مستشفى لاس فيغاس وإلى الشرطة، يبدو ان
تيمي فاجأ اللص اثناء محاولة هذا الأخير سرقة صندوق من
مقطورة الشاحنة.»

سألته بمرارة: «كيف ترسل تيمي في تلك الرحلة بينما
تعلم انها تحتوي على خطورة؟»

وضع ماتيو يديه على كتفيها: «اسمعيني يا
مارغريت...»

فابتعدت عنه قائلة: «بل انت اسمعني، يا ماتيو، ما كان لك
ان ترسل تيمي إلى لاس فيغاس.»

«مارغريت، حتى انني لم اكن اعلم انه ذهب في تلك الرحلة
حتى تلقيت تلك المخابرة من سائق الشاحنة، منذ فترة.»

أعمتها الدموع، واستدارت عائدة إلى سيارتها، لا فائدة
الآن من تبادل التهم، ان عليها ان تسرع إلى تيمي.

«تعالى معي يا مارغريت، فأنا ذاهب على الفور إلى لاس
فيغاس.»

فهبته فيه قائلة: «يكفي ما فعلته. ولا نريد منك سوى ان تبتعد

عنا في المستقبل، يا ماتيو، ما كان لي ان استمع اليك، قبل كل شيء، فقد كنت اعلم ان عمل تيمي في الشحن لن ينتهي بخير.»
وضعت المفتاح لتدير المحرك وقد اعماها الغضب، ولكن السيارة رفضت ان تتحرك، حاولت مرة بعد أخرى ولكن عبثاً، وأخيراً نزلت من السيارة وشفقت الباب بعنف. فعاد ماتيو يقول: «تعالى معي، يا مارغريت.» وكان هذا بالنسبة اليها افضل من اضاءة الوقت في اقناع احد غيره بأن يأخذها معه إلى لاس فيغاس. وكانت في طريقها إلى هنا قد مرت بمنزل جو، فرأته مستلقياً تحت سيارته يصلحها، وانتظارها إلى ان ينتهي ويعيد العجلات إلى مكانها سيأخذ وقتاً طويلاً، وهكذا لم يعد أمامها خيار سوى الذهاب مع ماتيو.

الفصل العاشر

أخذت مارغريت تمسح دموعها وهي تتوجه نحو سيارة ماتيو، يجب ان لا يموت تيمي الآن، لن تدعه يموت. وسمعتة يقول بهدوء: «ان الورم في رأس تيمي بحجم البيضة، وقد اظهرت صورة الأشعة انه لا توجد اصابات داخلية.»

وما الذي يدريه، فهناك حالات كان فيها الشخص المصاب بإصابات في الرأس يستغرق في غيبوبة لمدة سنوات فيما بعد، ودون سبب ظاهر، هناك حالات... لكن صوتاً في داخلها نهرها قائلاً، كفى فأنت تضخمين الموضوع، لو كانت حالة تيمي سيئة لقال ماتيو هذا. تحركت في مقعدها بضيق وهي تختلس نظرة إلى جانب وجه ماتيو، لماذا اخذت تلومه لما حدث لتيمي قبل ان تمحص الأمور؟

في رأس تيمي ورم بحجم البيضة، لقد كان تيمي قد أصيب باكثر من ذلك، في حادثته، عندما سقط مرة من أعلى شجرة تفاح خلف البيت وكسر ذراعه، وكذلك سقط مرة أخرى اثناء تزلقه على الثلج ما أدى إلى ورم في جبهته بحجم بيضة النعامة، وفي تلك المناسبتين لم توجه اللوم إلى احد. أغمضت عينيها معترفة بينها وبين نفسها، بأنها فقدت السيطرة على اعصابها دون موجب، كيف أمكنها ان تجرح ماتيو بهذا الشكل؟

مدت يدها تلمس ذراعه معذرة: «ماتيو، أنا آسفة لما قلته لك في موقف الشاحنات.»

«لا بأس يا مارغريت، فقد كنت خائفة جداً.»

وشعرت بغصة: «لقد أراد تيمي ان يذهب في هذه الرحلة وما حدث له ليس مسؤولية أحد، كانت صدمة هذا الخبر، وما رأيت من حزن على وجه عمتي جعلني اتصرف بذلك الشكل، ولكن هذا لا يشكل عذراً لي لمهاجمتك. فاصفح عني.»

قال بلهجة متعبة وكأنه لم يعد يريد الحديث في هذا الموضوع: «لا تقلقي بهذا الشأن.»

نظرت في ساعتها، بقي امامها ساعة ونصف للوصول إلى لاس فيغاس، وهكذا مالت إلى مسند المقعد وأغمضت عينيها.

لا بد ان ما كانت قالتها قد أقنع ماتيو بأنها لم تفقد أيأ من مخاوفها من الشحن. ان عليها ان تخبره بأنها لا تخاف من الشحن بالذات، وانما خوفها هو من ان تفقد شقيقها، ان الرعب من ان يكون مصير أخيها هو نفسه مصير والديها، هو الذي أعماها عن كل شيء آخر، لقد حطم الخوف سيطرتها على نفسها ما جعلها تفرع ماتيو بذلك الشكل.

توقفا عند مطعم في منتصف الطريق إلى لاس فيغاس حيث تناول ماتيو فنجان قهوة بينما اخذت هي كوب عصير الليمون حدقت إليه طويلاً... انها على استعداد لأن تعطي أي شيء في مقابل محو الساعة الأخيرة من ذاكرة ماتيو.

كان تيمي يحتل وحده غرفة بسريرين، كان جالساً في

سريره يتفرج على الفيديو في التلفزيون عندما انفتح باب غرفته.

«تيمي هل أنت بخير؟»

شعرت مارغريت لمنظر الضماد حول رأسه وكذلك شحوب وجهه، بالقلق، ولكن دموع الارتياح طفرت من عينيها وهي ترى حالته ليست بالسوء الذي كانت تخافه.

«مرحباً أختاه، مرحباً يا سيد ماغنوم، ما كان لكما ان تحضرا، فأنا بخير.»

«ان أختك قلقة لأجلك.» كان في لهجته نوع من اللوم جعل تيمي يقول: «انني آسف يا أختاه، فكل ما كنت أعنيه هو ان اصابتي غير سيئة.»

سألته مارغريت: «هل انت واثق من ذلك؟»

فأوماً تيمي قائلاً: «متأكد تماماً.»

غالبت دموعها وقالت: «سأخبر عمتي جانيت وأعود حالاً، فهي قلقة للغاية.»

فقال تيمي بسرعة: «لقد سبق وخابرتها انا، بعد ان تحدث الطبيب إلى السيد ماغنوم، جاء إلي وقال ان السيد ماغنوم يريدني ان اخابركما انت وعمتي التي اخبرتني بأنك في طريقك إلى هنا.»

غمر الدفء قلب مارغريت، ذلك ان ماتيو يفكر فيهم على الدوام. وجلست على كرسي بجانب السرير وقد ازداد شعورها بالندم.

سألت أخاها: «كيف حدث لك هذا؟»

«لقد توقفنا، انا وبود السائق، عند منطقة الإستراحة على بعد ثلاثين ميلاً من لاس فيغاس فكرت أولاً في أن اشرب

علبة عصير، ثم عدت فغيرت رأبي وقررت ان اعود إلى الشاحنة، فسمعت صوت حركة في المؤخرة، فاتجهت نحوها، وما ان لمحت الرجل وهو يحاول فتح القفل، حتى دفعني بيده وهرب، فاصطدم رأسي عندما وقعت على مؤخرة الشاحنة.»

شعرت مارغريت بغصة في حلقها، ماذا لو كان الرجل مسلحاً؟ ماذا لو...؟

أعادها إلى الواقع يد ماتيو على كتفها، فسمعت تيمي يقول: «... ثم حصل رجال الشرطة على تقرير مني بعد ان فحصني الطبيب، ومع ذلك لم يسمح الدكتور باترسون للصحفيين بأن يتحدثوا إلي.»

دخلت ممرضة ووضعت ميزان الحرارة في فم تيمي وهي تنظر إليهما وتساله: «هل هذه أسرتك؟»

فأوما برأسه بينما قالت مارغريت: «انني أخته مارغريت وهذا صديق، ماتيو ماغنوم.» وكانت ترجو ان تكون الجملة الأخيرة مازالت صحيحة.

قالت الممرضة لهما: «هل لكما ان تمرا على مكتب الممرضات قبل انتهاء الزيارة؟»

فسألها تيمي: «اتعنين انني لن اذهب معهما؟» فهزت الممرضة رأسها بحزم: «يريد الطبيب ان تبقى هذه الليلة تحت المراقبة حسب النظام المتبع.»

غاص تيمي بين الوسائد وقد بدت عليه الخيبة، فقالت الممرضة: «ان ليلة راحة تجدد نشاطك، والمهدىء الذي اعطيتك سيصيبك بالدوار، فلا تقاومه، وقبل ان تنتبه تجد الصباح قد اقبل فتخرج من هنا.»

تأوه تيمي عندما خرجت الممرضة: «أريد ان أعود إلى إنشواتر الليلة. لقد قال جاك انه سيأخذني إلى لوس انجلس صباح الغد.»

عضت مارغريت شفتها بشدة لتكبت الاحتجاج الذي اوشك ان يقفز من بين شفتيها.

وسمعت ماتيو يقول: «لا اريدك ان تقوم بمزيد من الرحلات إلى ان اكلفك أنا بذلك، يا تيمي. عليك ان ترتاح عدة أيام لكي تتأكد من انك بخير تماماً، لا أريد ان تقلق عليك مارغريت وجانيت.»

كانت السلطة واضحة في صوت ماتيو. حدق تيمي إليه بدهشة، ثم قال بهدوء: «نعم يا سيدي.»

بعد نصف ساعة، اغمض تيمي عينيه، قبلته أخته على جبهته قائلة: «إلى اللقاء يا تيمي، سنكون هنا في الصباح الباكر.»

رفعت الممرضة بصرها إلى ماتيو عندما وقفا عند مكتبها. «لدي رسالة لك هنا. ها هي زي.»

ثم مدت يدها بمغلف وهي تقول: «انها من مخفر الشرطة جاء بها شرطي ولم أحب ان اتحدث عنها امام تيمي كيلا اشغل افكاره.»

فتح ماتيو المغلف فسألت مارغريت الممرضة: «أهو حقاً بخير؟»

«نعم، والنظام ان يببت المصاب برأسه ليلة كاملة هنا وذلك للتأكد من عدم وجود ارتجاج في المخ أو أي آثار أخرى، تعالي غداً بعد انتهاء مرور الأطباء على المرضى وذلك في الساعة الحادية عشرة بعد أن يكون الدكتور

باترسون قد وقع أوراق الخروج، وقد ترك الدكتور رقم هاتفه فيما لو أردت التحدث إليه شخصياً، لقد كان السيد ماغنوم قد اتصل به يخبره بأنه سيحضرك إلى هنا، طالباً منه ان يسمح لك بالإتصال به متى شئت، انك محظوظة إذ يكون لك رجل مثله.»

نظرت مارغريت إلى ماتيو، نعم انها محظوظة، فقد قام بكل ما يستطيعه ليساعدها، وتساءلت عما إذا كان سيفصح عنها قط، نظر هو إليها، فقالت بسرعة: «اظنني سأجد...» وماتت الكلمات على شفيتها حين رأت ما بدا على وجهه، فقالت: «ماذا هناك؟»

«انهم يريدون مني الذهاب إلى المخفر عند الصباح، فقد عثروا على رجل بالأوصاف التي نكرها تيمي وقد اعترف بالسرقات التي اقترفها.»

نظرت إليه بدهشة: «هذا عمل سريع.»
«نعم، انه كذلك.»

عندما خرجا من المستشفى إلى حيث تقف السيارة، سألتها: «إلى أين نذهب الآن؟»

فأجابت وهي تحول نظراتها عنه: «يمكنك ان تنزلني عند أول فندق نمر به، وفي الصباح أحضر أنا لأخذ تيمي إلى البيت في سيارة استأجرها.»

«انتي لن اتركك هنا وحدك، هذا إلى ان علي ان اذهب إلى المخفر صباح الغد، سنحجز نحن الاثنين، في الفندق ثم اريك مدينة فيغاس، فهي مدينة لا ينام فيها احد في الليل.»
جذبت مارغريت نفسها نفساً عميقاً: «ألم تعد غاضباً مني؟»
«لو ان خطراً أحاط بسوزان أو باتريشيا، وظننتك

مسؤولة عن ذلك، لتصرفت معك كما تصرفت أنت معي بالضبط.»

ابتلعت غصة في حلقها، انه إذن يفهم سبب تصرفها ذاك، وهذا هو المهم.

سألتها: «هل ستدعينني إذن أريك المدينة؟»

فقالت: «ليس لدي ما أرتديه للسهرة.»

«سنذهب لشراء ثوب لك وكذلك بعض أدوات الزينة وذلك قبل ان نجد مكاناً نبيت فيه، ما رأيك في المبيت في فندق في وسط المدينة؟»
فأومأت موافقة.

أوقف ماتيو سيارته امام متجر حيث اختارت مارغريت ثوباً قطنياً مطرزاً وقميصاً للنوم وبعض الأشياء الأخرى دفعت ثمنها من بطاقة حسابها في المصرف.

واختار لمبيتها غرفتين في فندق، حيث اخذت مارغريت تنظر حولها بافتتان، ملايين الأضواء، والندل في ملابسهم المزركشة، والناس في كل مكان، شعرت بنفسها وكأنها تتحرك في فيلم سينمائي.

قال لها: «هيا، لقد اخذنا غرفتين في الخلف حيث الهدوء.»

كانت غرفتهما في الطابق الأرضي من مبنى ملحق بمطعم، تفصل بينهما بحيرة، فتح ماتيو باب غرفتها ثم وقف جانباً لتدخل وهو يناولها مفتاحها قائلاً: «خذني غفوة، إذا شئت، وسأكون عند بابك الساعة الثامنة.»

استلقت هي على السرير المزدوج بعد ان طلبت من مركز الخدمة ايقاظها بعد ساعة.

أخذت تفكر في أحداث هذا النهار، أول ما فكرت فيه حين علمت بإصابة تيمي هو انها تريده ان يكون بخير، فقد كان هذا أهم شيء في العالم بالنسبة إليها، شعرت بأنها لم يعد يهمها حتى ولو فتح تيمي محل بقالة في القمر، مادام سيكون سعيداً بذلك.

أيقظها رنين الهاتف في الساعة والنصف. وبعد دوش بارد ارتدت ثوبها الجديد الذي جعلته الأزهار البراقة المنقوشة على قماشه الأبيض، من الجمال، بحيث يصلح للخروج به، وكذلك كان القرطان اللذان اشترتهما معه مناسبين جداً.

لقد شعرت هذه الليلة بأنها تريد ان تبدو بصورة اكثر جمالاً وثقة بالنفس من المعتاد.

رفعت شعرها تعقسه فوق رأسها وزينت وجهها ثم وقفت امام المرآة، وإذا بالباب يقرع بعد ثانية واحدة. خفق قلبها وهي تسرع إلى الباب تفتحه ونظر هو إليها: «لشد ما تبدين جميلة».

كانت لاس فيغاس تبدو في افضل حالاتها اثناء الليل وملايين الأضواء تنير طرقاتها وواجهاتها.

سألها ماتيو: «هل لديك مانع في ان نسير على الأقدام؟ وبهذا لن نتعب في البحث عن مكان نوقف فيه السيارة في كل مرة نريد فيها ان ندخل إلى مكان».

«كلا، أبدأ».

تناولا الطعام أولاً في مطعم يقدم مقصفاً يحتوي على مائة وخمسين نوعاً من الطعام، ثم اخذا يجولان بين الأماكن المختلفة. في احداها اخذا يتفرجان على ألعاب

سيرك وفي آخر تفرجا على نمر أبيض، وقبل منتصف الليل بنصف ساعة ادهشها ماتيو بشراء تذاكر لحضور حفلة، وعندما خرجا منها كانت الساعة الثالثة صباحاً.

فسألها: «هل تشعرين بالنعاس؟»

اومأت برأسها نفيماً وهي تنظر إلى الصورة التي كان المصور التقطها لهما قبل العرض.

سألها: «ماذا تريدين ان تفعلين الآن؟»

كانت مارغريت كصبي صغير يتفرج على السيرك، وكان سرورها يدخل المرح إلى نفس ماتيو. وبالرغم مما تشعر به من بهجة وسعادة، فقد كانت تسأله دوماً عما يريده هو، وقد ادفاً اهتمامها به فواده اكثر من أي شيء آخر، وعند الساعة الرابعة قال ماتيو: «يجب ان نخرج الآن، هيا بنا».

أوقفا سيارة أجرة، وكانت مارغريت قد ابتدأت تشعر بالأم في قدميها وظهرها.

دهشت عندما وقفت بهما السيارة عند موقف السيارة بدلاً من باب الفندق، قال لها ماتيو وهو يساعدها على الصعود إلى سيارته: «هنالك شيء آخر أريدك ان تريه».

أخذت تنظر بصمت والسيارة تتجه بهما شمالاً. «ها قد وصلنا».

نظرت مارغريت من السيارة تلقي نظرة على المياة والسد الضخم.

قال لها: «انها بحيرة ميد» تناول من المقعد الخلفي معطفاً خفيفاً، وفي ضوء الفجر الفضي، كانا وحيدين على الشاطئ، وتقدم نحوهما زورق فيه رجل سأل ماتيو متذمراً: «هل انت من اتصل الليلة الماضية طالباً زورقاً؟»

أجاب ماتيو وهو يناول الرجل ورقة مالية: «نعم، وآسف إذ جعلتك تستيقظ مبكراً، سنعود بعد ساعتين.»
نظر الرجل إلى الورقة المالية وقال بسرور وهو يقفز من الزورق: «إبق قدر ما تريد يا سيدي.»
ابتسمت مارغريت، كان ماتيو يعرف كيف يجعل كل شخص سعيداً.

وقفت بجانبه وهو يقود الزورق إلى منتصف البحيرة:
«إلى أين نحن ذاهبان؟»

فأجاب: «سترين.»

مالبثت الشمس ان ارتفعت في قبة السماء، وأدارت مارغريت نظرتها في ما حولها من جمال الطبيعة الساحرة تنهدت بسعادة، كانت تقف بجانب ماتيو يمتعان النظر في روعة ما يحيط بهما، لم تر الحياة قط من قبل بمثل جمالها الآن.

أدركت ان شعورها هذا ناتج عن انها أدركت أخيراً حقيقة هامة. وهي ان من الأفضل ان تقع في الحب، من ان تسمح للمخاوف من فقدان من تحب بأن تسيطر على حياتها، لم يعد مهماً في نظرها ان يكون الشحن متمماً لشخصية ماتيو، لم يعد مهماً ان يكون الحب يعني الضعف امام المحبوب، انها تفضل الآن ان يكون لديها هذا الحب الذي تشعر به الآن، مهما كانت نتيجته، تفضله على ذلك الفراغ الذي عاشت به طوال هذه السنوات، رفعت وجهها إلى ماتيو، وهمست برقة فائقة: «انني احبك، يا ماتيو.»

ساد الصمت، لم يتفوه بحرف، وتبدد بعض البهجة في نفسها، فنظرت إلى وجهه متفحصة فقال لها وهو ينظر في

عينها: «سنتحدث في هذا الأمر عندما لا نكون متعبين كما نحن الآن، إتفقنا؟»

كان هذا يبدو منطقياً، ولكنها هذه المرة لم تكن تريد المنطق، فأومات برأسها وقد شعرت فجأة بأنها على وشك البكاء، شعرت بأن ماتيو لا يحبها كما تحبه.

بهت جمال الطبيعة وإشراقه الشمس في نظرها، واخذت تنظر إلى ماتيو وهو يستدير بالقارب عائداً به إلى الشاطئ. عادا في السيارة إلى لاس فيغاس وقد ران عليهما الصمت، وعند باب غرفتها قال لها: «احلاماً سعيدة، يا مارغريت، سأتي اليك في الساعة التاسعة والنصف.»

استيقظت مارغريت بعد ذلك بساعتين شاعرة بنشاط تام، فكرت في ما حدث محاولة ان تعرف سبب هذا الضيق الذي تشعر به، وتدفقت الذكريات إلى ذهنها، انها بسبب ماتيو، فقد اخبرته بأنها تحبه، ولكنه لم يقل انه يحبها، ما كان اجمل هذا لو كان حدث، ولكن اعترافها له بالحب لم يحقق أي تقدم في علاقتهما.

انزل ماتيو مارغريت عند باب المستشفى وهو في طريقه إلى المخفر، وقالت الممرضة لها بأن الطبيب عاين أخاها وقال انه في أحسن حال، وان بإمكانه الخروج على ان يرتاح في البيت، وقالت لمارغريت: «هل لك ان تجلسي مع شقيقك إلى أن اجهز أوراق الخروج؟»

وجدت مارغريت شقيقها يشاهد التلفزيون. «مرحباً، يا مارغريت.»

«مرحباً تيمي، كيف حالك اليوم؟»

«بخير. قال لي الطبيب ان بإمكانني اخذ الأسبرين فقط إذا

شعرت بصداع.»

«هذا عظيم.»

جلست على كرسي بجانبه وهي تبحث في ذهنها عن

موضوع لا يثير استياءه.

قالت: «لقد أوشك الصيف على الانتهاء، وسأعود إلى

واشنطن قريباً.»

فقال: «انني احب ان اراجع معك مواد الامتحان التمهيدي

قبل ان تعودني إلى واشنطن.»

نظرت إليه مجفلة، أتراها سمعت جيداً؟

أجابت: «طبعاً.»

فتابع يقول: «انني آسف لما سببته من قلق لك ولعمتي

أمس، ولكن الأمر كان خارج يدي، إذ لم اعرف ما جرى إلا

بعد ان وجدت نفسي مستلقياً على ظهري انظر إلى السماء.»

«اعرف هذا.»

«عندما تحدثت إلى عمتي جانبيت في الهاتف أمس،

اخذت تبكي، وهذا ما أكمني جداً، ثم رأيت وجهك عندما جئت

فأدركت مبلغ قلقك، انا آسف، لم اقصد ان اقوم بذلك.»

فقالت بسرعة: «كان يمكن ان يحدث هذا لأي انسان.»

نظر إليها بحيرة: «اصحيح هذا؟»

«طبعاً، أي شخص كان ممكناً ان يقترب من الشاحنة ويقبض

على الرجل، وكان من حظك ان كنت انت ذلك الشخص.»

«اتعنين انك لن تقولي بأن هذا ما كان ليحدث لو انني لم

اقم بتلك الرحلة؟»

«كلا.»

كانت مارغريت واثقة من ان قلقها مما قد يحدث لتيمي لن

يتوقف قط، ولكن الابتسامة التي رأتها على وجهه أثبتت لها

ان أول محاولة لها لتحريره من سلطتها قد نجحت.

دخلت الممرضة تدفع امامها كرسيّاً بعجلات وهي تقول:

«السيد ماغنوم في انتظاركما وما هي ذي أوراق الخروج،

انني سأخذك إلى أسفل على هذا الكرسي. انه النظام.»

فتح تيمي فمه ليحتج ولكنه عاد فأقفله وهو يغمز لأخته

فبادلته ذلك بابتسامة وهي تدرك ان التقارب قد عاد بينها

وبين شقيقها.

الفصل الحادي عشر

«ماذا حدث في المخفر؟» ألقى تيمي بهذا السؤال حالما خرج ماتيو بالسيارة من موقف سيارات المستشفى.
تمهل ماتيو بالجواب قبل أن يتنحرج ويقول: «لقد قررت أن لا أرفع دعوى ضد السيد فرينتون.»
سأله تيمي: «لماذا؟»

«عندما تحدثت إليه أخبرني بأنه سائق شاحنة سابق، وبعد أن فقد زوجته وطفله في حادث، وذلك في السنة الماضية، أخذ يهمل نظام الوظيفة فطرد من عمله، لقد رفض مرؤوسه الاستماع إليه أو إعادته إلى عمله، وهكذا رأى أن السرقة هي الطريقة الوحيدة للعيش.»

فسأله مارغريت: «ولماذا اختار شاحناتك أنت بالذات؟»
«ليس لسبب خاص وإنما لأن كثيراً من سائقي شاحناتي اعتادوا الوقوف في مركز الاستراحة تلك، وبشكل عام لم تكن المنطقة آهلة. لقد قال فرينتون انه لم يكن يسرق إلا ما يحتاجه... قال إنه لم يقصد أن يؤذي أحداً على الإطلاق، ولكنه فقط أصيب بالذعر عندما رأى تيمي.»

فسأله تيمي: «ولماذا لا تريد أن ترفع دعوى؟»
«إن كل شخص بحاجة إلى أن يُمنح فرصة يتوب فيها، وهكذا قررت أن أمنحه ذلك، قلت له انه إذا ذهب إلى مركز المعالجة وبقي هناك إلى أن يشفى، فسيحصل على عمل عندي في الشركة.»

قالت مارغريت: «هذا سخاء بالغ منك، ولكن هل تقبل الشرطة بإطلاق سراحه؟»

أوماً ماتيو بالإيجاب: «لقد أقنعتهم بأن حظ فرينتون في العالم هو أفضل على أن يكون شخصاً ذا سجل إجرامي، إن القانون يطلب منه رد المسروقات، ولكن بما أن شركتي فقط هي التي كان يسرق منها، وأنا رفضت رفع دعوى عليه، فقد أطلقوا سراحه.»

ساد صمت قصير سأل ماتيو بعده: «هل تملككما الاستياء لأنني لم أرفع دعوى؟»

فقالت مارغريت: «كلا، أظن فعلك هو الصواب.»
وأضاف تيمي: «لقد بدا فرينتون عجوزاً وخائفاً جداً، كما أن شركته عاملته بشكل سيء، أليس كذلك؟»
«نعم، يا تيمي.»

التفت ماتيو إلى مارغريت، فقالت: «أنتظن أن فرينتون سيذهب حقاً إلى مركز المعالجة؟»

فقال: «لقد أنزلته لتوّي عند تلك المراكز، قبل أن أتوجه إلى المستشفى. والباقي يعود إليه.»

كان ماتيو يعرف جيداً كيف يجعل الآخرين يرون الأمور بوضوح وكيف يضع لهم الحلول، كما أخذت مارغريت تفكر. ومن المؤكد أن بإمكانه أن يجد حلاً لمشكلاته الخاصة.

بعد برهة، نظرت مارغريت إلى تيمي وقد استغرق في النوم في مقعده. وكانت الممرضة قد نبهتها إلى أنه قد يكون ما يزال تحت تأثير المهدئات التي أعطيت له الليلة الماضية.
قال ماتيو: «لقد أخبرت تيمي بأن يأخذ بقية الأسبوع عطلة للراحة.»

«شكراً يا ماتيو.» كان من الأسهل أن يأتي هذا من ماتيو على أن يأتي منها أو من عمتهما.

عاد ذهنها إلى ذلك المشهد في الزورق، وغصت بريقها. شعرت بأن الحديث قد محا ذلك الصمت المربك الذي ساد بينهما، فقالت: «إن مدينة فيغاس شيء لن انساه سأحدث أصدقائي عنه في معهد ادواردز.»

«هل أنت مشتاقة للعودة إليهم يا مارغريت.»

لم تكن مارغريت مشتاقة لترك انشواتر. وذلك لأجل ماتيو. ولكن مارغريت قد حفظت الدرس. فكرامتها أبت عليها أن تقول أي شيء عدا كلمة نعم.

لم يقل شيئاً. وبعد فترة استغرقت مارغريت في النوم.

عندما زارت مارغريت جينا، عصر اليوم التالي، اكتشفت أن أحوال جينا وزوجها لم تتحسن، بل هي في طريق الأسوأ. فقد بدا وكأن الاتصال بينهما قد انقطع بشكل تام، وإذا لم تجد مارغريت فائدة من الكلام، فقد أخذت تستمع بهدوء إلى حكاية جينا التعسة.

ذهب بها الفكر إلى أول مرة رأت فيها جاك في المستشفى الذي ولدت فيه زوجته. لقد كان حبه لها بادياً فما الذي حدث لكي تتغير الأمور بينهما بهذا الشكل؟

أترى ضغط العمل قد أخذ ينال منه؟ لم تلتق مارغريت باللوم لذلك على عمله بالشحن كما كانت ستفعل فيما مضى، ذلك أن كل عمل يحتوي نوعاً من المشكلات، وما يسبب الضغط على أعصاب الشخص هو نوع تعامله مع هذه المشكلات.

كانت في غرفتها تخطط ثوبها الجديد عندما رن جرس

الهاتف، فرفعت السماعة لتسمع عمته تقول: «مارغريت، إن ماتيو على الخط.»

جاء صوت ماتيو: «مرحباً يا مارغريت.» تضرع وجهها وهي تسمع صوته. لقد كانت الأربع والعشرين ساعة التي مضت بعد رجوعهما من لاس فيغاس، كانت فارغة موحشة بدونه.

«لقد اتصلت بي شقيقتي باتريشيا منذ فترة. انها ستقيم حفلتها المعتادة كل صيف لجمع أموال لمستشفى مرضى السكري في لوس انجلس، ولا أدري إذا كنت تحبين المجيء معي. فقد يعطيك هذا فكرة عن عملها فتخبرين به الدكتور ادواردز.»

كانت لهجة ماتيو تنبئ بالمودة لا أكثر ولا أقل.

وعاد يقول: «مارغريت؟»

فقالت بسرعة: «علي أن أفكر في الأمر.»

إنها بحاجة إلى وقت تجد فيه عذراً منطقياً لعدم الذهاب. فهي لم تذهب قط من قبل إلى حفلة كهذه، كما أن ليس لديها ثوب لائق لهذه المناسبة. ثم أي نوع من الحديث عليها أن تقوم به مع أناس يدفع الواحد منهم خمسة آلاف دولار ثمن

طبق عشائه؟ هذا إلى أنها أين ستقيم في لوس انجلس؟

وتابع ماتيو يقول: «عندما ذكرت لباتريشيا أنني سأحضر صديقة معي قالت إنها ترحب بك ضيفة عليها.

إن منزلها فسيح وليس في الأمر أية مشكلة.»

«سأفكر في الأمر ثم أتصل بك.»

أخذت تتساءل فيما بعد، عما إذا كانت دعوة ماتيو لها هي نوع من الاختبار، هل يريد أن يرى إن كانت تصلح للمجتمع الذي نشأ فيه؟

كانت كبرياؤها تصر على أن ليس لديها ما تثبته به، بينما حبها له يقول نعم، لقد كانت عمته أخبرتها أن ماتيو حدثها مرة بأن النساء ما أن يكتشفن مبلغ ثراء أبيه، والقصر الذي يعيش فيه في ماليبو، حتى يقمن بكل ما يمكنهن من جهد لكي يلفتن انتباهه. ومن الواضح أن ماتيو أخذ يظن أن كل ما يهم النساء في الرجال هو المال. ولكي تثبت له خطأه، فستقبل الدعوة، وعندما تصل إلى ماليبو، فستجد طريقة تثبت فيها له أن ليس كل النساء متشابهات.

وهكذا سارعت إلى الاتصال به في مكتبه، قبل أن تغير رأيها، حيث أخبرته بأنها ستكون مسرورة إذ تقبل دعوته للذهاب معه.

فقال: «لا أدري إن كان لديك مانع من أن نذهب صباح الجمعة، إذ يمكنني بذلك، حضور اجتماع عمل يوم الجمعة، ثم نعود إلى هنا صباح الأحد.»

فقالت: «لا أريد أن أكون عبئاً على أختك. ربما يمكنني أن أحجز غرفة في نزل.»

«لن يكون هناك أي عبء، فمَنْزل باتريشيا فسيح جداً كما سبق وأخبرتكم، كما أن هناك جيشاً من الخدم.»

تساءلت مارغريت عما إذا كان ماتيو يتحدث عن المنزل الذي كان نشأ فيه، ألا تشكل العودة إليه ذكريات مؤلمة له؟ وكأنما عرف ما يجول في خاطرها، قال: «عندما مات والدي، أرادت باتريشيا وسوزان أن تحتفظا ببيت الأسرة الكبير، فجعلتا من الطابق الأسفل مكاتب إدارية لمؤسسة (الشعب يساعد الشعب) التي يديرانها دون أي ربح. والطابق العلوي أصبح كافيتيريا، ومسكنين لموظفين اثنين وقاعة

اجتماعات، وقد انفقت شقيقتاي بسخاء على تجديد بيوت المستخدمين. وقد أصرتا على أن يكون لي بيت الضيوف القديم، وهكذا ترين أن بيتنا كبير للغاية.»

بقيت هي صامتة بعد أن لم تجد عذراً لرفض ضيافة شقيقتيه.

عاد فسألها: «هل اتفقنا إذن؟»

فقالت: «نعم.»

ثم نزلت لتخبر عمته عن الدعوة.

بدت الدهشة على العمه، ثم السرور: «ما أحسن هذا. إنك ستمضين وقتاً ممتعاً. فقد فهمت مما قاله ماتيو أن شقيقتيه في غاية الكياسة.»

«وماذا سألبس للحفلة؟ ليس لدي وقت من الآن إلى الخميس لكي أخطط لنفسي ثوباً مناسباً.»

«يمكنك أن تشتري من هناك حين وصولك.»

لم تكن ميزانية مارغريت تحتمل التبذير في الواقع، ولكنها حاولت أن تقنع نفسها بأن لا بأس في ذلك. لكن الحقيقة أنها لم تكن تريد أن يشعر ماتيو بالخجل بها بين وجوه القوم المتألقين في تلك الحفلة.

كان القصر في ماليبو أكثر مهابة مما صورته مارغريت. وكانت تحيط به مروج خضراء بالغة الاتساع. أوقف ماتيو سيارته أمام المنزل الرئيسي ثم دخل إليه وهو يقول لمارغريت: «سأرى إن كانت باتريشيا في الداخل.»

كان قد لاذ بالصمت في نصف الساعة الأخيرة. وإذ لم

يكن الصمت من عاداته، فقد أخذت تتساءل إن كانت الذكريات قد عادت تستحوذ على مشاعره.

عاد يصعد إلى السيارة قائلاً: «إن لديها اجتماعاً. إننا سنذهب إلى بيتها وستلحق بنا قريباً.»

عاد يقف أمام فيلا ذات سطح أحمر اللون وقد غطت جدرانه النباتات المتسلقة. وفتح لهما الباب رجل أشرق وجهه لدي رؤيته لماتيو، وصافحه هذا ووضع يده على كتفه قائلاً: «كيف حالك يا هوك؟»

التفت إلى مارغريت قائلاً: «هذا هوك، إنه من اصدقائنا. أقدم إليك مارغريت براوننغ يا هوك.»

«تفضلني بالدخول. سأدخل الأمتعة فيما بعد. لقد كنت رئيس خدم السيد ماغنوم الكبير في السابق، أما الآن فأنا في خدمة باتريشيا. لقد كان ماتيو أخبرني عن مبلغ عناية عمك به في انشواتر، ويشرفني أن أتعرف إليك.»

أدخلت إلى غرفة جلوس يبلغ ارتفاع سقفها خمسة وعشرين قدماً، نظرت حولها بصمت، ما الذي كانت جينا قالته مرة؟ لا أحد يستطيع أن يدرك عند النظر إلى ماتيو، مبلغ أهميته. كان كلام جينا صحيحاً من هذه الناحية، ثم إن مارغريت لم تدرك حتى هذا النهار مبلغ الهوة العميقة التي تفصل بين عالمها وعالم ماتيو، كل ما حدثها عنه، كل ما كانت تخيلته، لا شيء أعطاها صورة حقيقية عن هذه الهالة من الثراء والروعة التي تحيط به.

لا عجب ان لم يقم نحوها بأي التزام. إنها في هذا المكان أشبه بنبتة هندباء برية في هذه المروج المجزوزة العشب بكل عناية، فكيف تصورت قط أنهما سيكونان سعيدين معاً؟

كان ماتيو بجانبها يقول: «مارغريت، هل يضايقك لو تركتك بضع دقائق؟»

فقالت باسمه: «كلا، طبعاً.»

«إن هوك سيهتم بك.»

نظرت مارغريت بجمود إلى كوب العصير الذي أحضره هوك إليها، وتمنت لو أنها كانت نزلت في فندق.

سألها الرجل: «هل كانت رحلتك من انشواتر مريحة، يا آنسة؟»

«نعم، شكراً لك.»

«ألا تجلسين؟»

«بل أفضل الوقوف. شكراً.»

«مرحباً.»

استدارت مارغريت عندما دخلت امرأتان إلى الغرفة.

قالت ذات القوام الطويل الأهيف والتي بدت وكأنها عارضة أزياء: «إنني باتريشيا، وهذه سوزان.»

قالت سوزان: «نأسف لعدم وجودنا أثناء قدومك لنرحب بك. فقد طال الاجتماع أكثر مما كنا نتوقع.»

ابتسمت باتريشيا بحرارة: «سيكون الغداء جاهزاً حالاً، دعيني آخذك إلى غرفتك، لشد ما أنا مسرورة بحضورك إلى

الحفلة.»

صافحت مارغريت المرأتين. وبعد التحية الرسمية المعتادة: «كيف الحال.» لم تستطع أن تجد شيئاً تقول

سوى: «إن بيتك جميل جداً.»

فقالت باتريشيا: «شكراً لك، إنه كبير بالنسبة لفرد واحد، ولكنني أحب العيش في الضواحي.»

قالت سوزان: «إنك ستتناولين العشاء عندي هذه الليلة، ولكن يجب أن أنبهك إلى أن بيتي يبدو وكأن زلزالاً مرَّ به، والفضل في ذلك يعود إلى ابنتي ذات الثلاث سنوات.»
خلف مظهر الشقيقتين البراق وأناقتهما البالغة، هذا، كانتا ودودتين دافئتين. مثل ماتيو تماماً، ولكن هذا لم يخفف كثيراً من توتر مارغريت.

وفي الغرفة البالغة الاتساع التي أخذت إليها، أخذت مارغريت تنظر إلى صورتها في المرآة. وتنهت. بدت لها الليالي الثلاثة التي ستمضيها هنا وكأنها دون نهاية، ومهما فعلت فمظهرها لن يتلاءم مع مكان كهذا، هذا عدا عن أنها لن تستطيع أن تثبت لماتيو شيئاً عن شخصيتها.
عندما عادت مارغريت إلى شقيقتي ماتيو في غرفة الجلوس، دخل هوك ليعلن أن الغداء سيكون جاهزاً في خلال دقائق.

سالت سوزان: «أين ماتيو؟»

فقالت باتريشيا: «إن سيارته ليست أمام البيت، لا بد لديه عمل يهتم به.»

فقالت سوزان متذمرة: «دوماً لديه عمل، أرجو أن نراه هذه المرة أكثر قليلاً من المعتاد.»

إذا بوجهها يشرق لدى تصاعد رنين جرس الباب، والتفتت ناحية الباب في اللحظة التي دخل فيها ماتيو يمسك بيده فتاة صغيرة باسمه.

فكرت مارغريت بأن هذه لا بد أنها ابنة شقيقته، بينما ألفت سوزان بنفسها بين ذراعي شقيقها تحتضنه، وتبعثها في ذلك باتريشيا، لم يكن ثمة شك في الحنان الذي يشدُّ الثلاثة بعضهم

إلى بعض. ابتسم ماتيو لشقيقته وهو يحتضن كل واحدة منهما بذراع، بينما شعرت مارغريت بغصة في حلقها.
قالت الصغيرة ميليسيا آن: «أنا أيضاً هنا، يا ماما.»
فقالت سوزان وهي تحمل صغيرتها وتقبلها: «إنني أراك. من دعاك إلى هنا؟»

«قال خالي للسيدة دولبي ان بإمكانني أن آتي لأتغدى معكم.» أضافت بلهجة خطيرة: «قال إن السرور سيكون أكثر بوجودي هنا.»

وإذ تلاقت نظرات مارغريت بنظرات ماتيو، تساءلت عما إذا كان قد تكهن بالتوتر الذي تشعر به، لأن وجود الطفلة معهم سيخفف من ذلك وهكذا جعلت ميليسيا آن الحديث مستمرا بأسئلتها الدائمة.

قالت باتريشيا أثناء الغداء: «إنني مشتركة في اجراء ترتيبات تتعلق باحتفال عام وذلك بقية هذا النهار، ولكنني أرجوكم أن تعتبروا أنفسكم في بيتكم واطلبوا من هوك كل ما تحتاجونه. إنه سيأخذك يا مارغريت إلى حيث تشائين. فهو يعرف أفضل أمكنة التسوق والأكل والتفرج على معالم المدينة.»

فقالت مارغريت: «إنني لا أريد سوى شراء ثوب للحفلة.»
تبادلت الأختان النظرات، ثم قالت باتريشيا بسرعة: «إنها ستكون حفلة تنكرية ونحن جميعاً سنرتدي أزياء من عهد شكسبير.»
سادت فترة صمت قال ماتيو بعدها عابساً: «لماذا لم تقولي ذلك قبل الآن؟»

بدا الندم على وجه سوزان: «لقد خفنا، أنا وباتريشيا، أن ترفض الحضور إذا قلنا لك ذلك يا ماتيو إننا نعرف كرهك للملابس التنكرية.»

تبادلنا الأختان نظرة سريعة أخرى، ثم التفتت سوزان إلى مارغريت: «متجر هاغرتي في المدينة يؤجر أفضل الأزياء التنكرية، وقد اخترنا عدة أزياء أخرى عندما أحضرنا أزياءنا، ثم طلبنا من السيد هاغرتي صاحب المتجر أن يحفظها لنا، وسيأخذك هوك إلى هناك بعد الغداء.»

قالت ميليسيا آن بلهفة: «هل يمكنني أنا أيضاً أن ارتدي زياً تنكرياً؟»

فقالت سوزان: «نعم، بعد قيلولتك يمكنك أن ترتدي الزي الذي لديك.»

فقالت لهم الطفلة: «عندما يأتي والدي إلى البيت، سأجعله ضفدعة. ثم عندما تقبله والدي، سيعود فيصبح أميراً. إن والدي تحب أن تقبل والدي.»

ضحك الجميع بينما احمر وجه سوزان.

سألت ميليسيا آن مارغريت: «مارغريت، هل تحبين تقبيل خالي ماتيو؟»

توهج وجه مارغريت احمراراً، بينما هب الثلاثة حول المائدة، للعمل. فقال هوك الذي كان يرفع الأطباق: «تعالى للتفرج على السمكة الجديدة في الحوض، يا ميليسيا آن.»

قالت باتريشيا وهي تنهض تخرج من الغرفة: «سأحضر الحلوى.»

بينما قالت سوزان لابنتها بصوت حازم: «حان وقت قيلولتك، الآن.»

ترددت ميليسيا لحظة قبل أن تلتفت إلى خالها ماتيو قائلة بسرعة: «هل ستقرأ لي حكاية يا خالي قبل أن أنام؟»

فأجاب ماتيو: «طبعاً.»

«وهل ستحملني على كتفك ونحن ذاهبان إلى البيت؟»

«نعم، هيا بنا الآن.» ووقف يمد يده إلى الطفلة قائلاً وهو ينظر إلى مارغريت: «اسمحي لي. سأراك الليلة في منزل سوزان.»

قالت سوزان وهي تهتم بالحقاق بأخيها وابنتها: «أنا آسفة. فأنا لا أعرف أبداً ما يمكن أن تقوله في أي لحظة.»

فقالت مارغريت: «لا تهتمي، فأنا معتادة على الأطفال.»

بعد الغداء، أخذها هوك إلى متجر هاغرتي، ونظرت مارغريت حولها برهبة. رأت مئات من الأزياء المختلفة تغطي جدران قاعة العرض. ودخل هوك معها ثم ناول فتاة تجلس إلى مكتب، بطاقة باتريشيا.

قالت لهما موظفة الاستقبال: «تفضلني بالجلوس إن السيد هاغرتي كان ينتظرك.»

بعد دقائق قليلة جاء السيد هاغرتي. وأرغمت مارغريت نفسها على عدم إظهار ذهولها وهي ترى ذيل الحصان والأهداب المستعارة والبودرة على وجه الرجل.

قال وهو يمد يده يصافحها: «مرحباً بالآنسة براونينغ، تفضلني معي إلى صالوني الخاص. إن أي صديق لباتريشيا وسوزان هو صديق لي.»

فتبعته مارغريت شاعرة وكأنها في بلاد العجائب.

قال لها عندما أحضر مساعدته عدة أزياء: «هذه هي الأزياء الأربعة التي طلبت مني باتريشيا أن أحتفظ بها لك، وبعد أن تختاري منها ما يعجبك، سنختار الملحقات.»

نظرت مارغريت إلى الأثواب السميكة الثقيلة بتنانيرها البالغة الاتساع والشعر المستعار الملانم لها، ثم لم تمد يداً للمسها. لم تستطع أن تتصور نفسها مرتدية أياً منها. لم

تكن تريد أن تلبس زياً لمجرد أنه يتلاءم مع أزياء المدعويين. وخطرت لها فكرة.

استدار هاغرتي إلى مارغريت وقد رفع حاجبه المخطط بالقلم: «أي واحد منها تحبين تجربته أولاً، يا سيدتي.» فقالت بسرعة: «لقد قررت أن أصنع الزي الذي أريده بنفسي، فهذه واسعة جداً وبالغة الزخرفة بالنسبة إلي.» بدا على هاغرتي وكأنه تلقى إهانة، فقال وهو يشهق: «هكذا إذن، اسمحي لي...»

ثم اندفع مبتعداً عنها، بينما اتجهت مارغريت إلى الباب. عندما خرجت من المتجر، سارع هوك يفتح لها باب السيارة وهو يسألها: «ألم تجدي شيئاً يعجبك، يا آنسة؟» «لقد قررت أن أصنع الزي بنفسي. أتعرف متجر أقمشة قريباً من هنا؟»

«ثمة واحد قريب. وأظن لدينا آلة خياطة في المخزن قد تنفعك.»

فقالت: «أحقاً؟» ورغم أن الزي الذي في رأسها كان بسيطاً جداً، وأمامها يوم ونصف لإنجازه، إلا أن وجود آلة الخياطة تيسر الأمور.

«نعم إذا لم يكن في إخراجها من المخزن إزعاج لك.»
«ليس ثمة إزعاج أبداً، يا آنسة.»

«هل مضى عليك عند آل ماغنوم زمن طويل؟»

«منذ ولد ماتيو يا آنسة. لقد رأيتته وهو ينمو لم تكن الحياة سهلة بالنسبة إليه وإلى أختيه، ولا أظن أنه سيكون سهلاً عليهم الآن أن يدفنوا ذلك الماضي، إن لديهم جميعاً طاقات كبرى من الحب للآخرين، ولكن من الصعب جداً

عليهم أن يصدقوا أن الآخرين يبابلونهم الحب. لقد كاد الكولونيل يفقد سوزان عندما ينس بسرعة.»

وتساءلت مارغريت عما إذا كان هوك بقوله هذا يريد أن يخبرها بأنها إذا كانت تحب ماتيو فعليها أن تتحلى بالصبر وتتشبث به.

توقفا عند متجر للقماش حيث اشترت مارغريت قماشاً وأدوات خياطة. وعندما عادت إلى منزل باتريشيا، أوصدت عليها باب غرفتها ثم نشرت القماش على السرير. إن عليها أن تكون حذرة للغاية حيث أنها تخطط دون نموذج ورقي. تساءلت أين عسى أن يكون ماتيو. تصورته يحمل ابنة أخته وهذه تسند رأسها إلى كتفه بينما هو يقرأ لها الحكاية. لقد رأت في نظراته لشقيقتيه دفناً وحناناً، ولكن تصرفاته نحوها قد تغيرت حتماً. فإقناعه بأي شيء لن يكون سهلاً.

الفصل الثاني عشر

عادت باتريشيا في الساعة الرابعة، وأثناء جلوسها مع مارغريت على الشرفة ترشفان الشاي المثلج، سألتها عن معهد إدواردز، وبالحديث عن العمل والأولاد وجدت مارغريت ان توترها قد تبدد.

قالت باتريشيا: «لقد اتصل بي الدكتور إدواردز ليشكرني على تبرعي بجمع المال له، قال انه لا يريد ان يقوم احد بشيء في هذا الشأن قبل ان يجد من يستطيع ان يثق به لإدارة الفرع الثاني من المعهد، بدا جاداً للغاية. لقد تعودت أن أرى الناس الذين يعملون معي يسألونني قبل كل شيء عن مقدار ما بإمكانني جمعه وما يستغرق ذلك من وقت.»

«الدكتور إدواردز يهتم بالأولاد قبل كل شيء، وهو لا يقرر سوى الأفضل لهم.»

كانت اسئلة باتريشيا تعبر عن اهتمام حقيقي بالمعهد، وحدثتها مارغريت عن الأولاد وما يقوم به الدكتور إدواردز لأجلهم.

ذهبتا إلى بيت سوزان في الساعة السادسة، وارتاحت مارغريت بالجلوس مع ميليسيا آن التي اخذت تريبها كل ألعابها، بينما كان بيت زوج سوزان يتحدث عن الحياة في الجيش، لم يكن في تصرف احد منهم ما يبعث الضيق في نفسها، ولكن مارغريت كانت متوترة، كان ماتيو وشقيقته

يقفان مستندين فتساءلت عما سيكون رأيه في الزي الذي تصنعه للحفلة.

أخذ ماتيو ينظر بسرور إلى اشراقة وجه مارغريت كلما ابتسمت لشيء يقوله بيت وعندما حول نظراته عنها وجد شقيقته تراقبانه.

سألته سوزان بهدوء: «انك تحبها، أليس كذلك؟»
«نعم.»

فقالت باتريشيا: «يبدو ذلك من نظراتك اليها.»
وقالت سوزان: «سأذهب لأري مارغريت المنزل والحديقة بينما يشعل بيت موقد الشواء.»

لم يفهم ماتيو النظرة التي تبادلتها شقيقته واخذ وباتريشيا ينظران إلى سوزان ومارغريت وميليسيا آن وهن يدخلن إلى المنزل، سألته باتريشيا: «هل ستتزوج مارغريت؟»

فقال: «ماذا؟»

لم تجفل أخته للهجته العنيفة هذه: «انني اعلم انك شقيقنا الأكبر، ولكن هل يمكنك ان تخبرك بشيء؟»

فقال: «تكلمي.»

«لم يترك والدنا لنا أمواله فقط، بل ترك أيضاً لكل منا نكريات لا تمحى.»

«هذا صحيح.»

«وكلما رأيت نفسك منجذباً إلى امرأة، تعود فتراجع، وأنا أيضاً كذلك، فالزواج يخيفنا لأننا نراه ساحة معركة تترك في أنفسنا جراحاً لا تشفى.»
قال بلهجة جافة: «أو ليس هو كذلك؟»

فهزت رأسها: «لقد أثبتت سوزان ان المرء يحصد من الزواج ما يزرعه فيه، وحياة والدنا الزوجية ليست مقياساً لحياتنا وحيث انه لا شيء يمكن ان يغير الذكريات القديمة، لهذا من الأفضل ان تبقى مدفونة وتبنى فوقها حياة جديدة..» فقال: «الكلام أسهل من العمل..»

«علينا ان نزيل عبء الماضي، يا ماتيو، ان كل انسان بحاجة إلى ان يكون محبوباً، لقد أوضحت لي طبييتي النفسية ان بحث أبي الدائم كان للعثور على من تحبه لذاته. قالت ان علينا ان نعتقد ان الآخر يحبنا لذاتنا قبل إنشاء أية علاقة معه، ومن دون هذا الإيمان لا يمكننا ان نعثر على الحظ..»

سألها: «منذ متى تستشيرين الطب النفسي؟»

«منذ فقدت الرجل الذي أحب..»

فالتفت ماتيو ينظر إلى أخته: «متى حدث هذا؟»

«حوالي الوقت الذي انتقلت أنت فيه إلى إنشواتر..»

عاد بذاكرته إلى ما بعد اقامته في إنشواتر بشهرين حين لاحظ مبلغ ما أصاب أخته من هزال، لقد كانت أخبرته انه غراز الجديد للرشاقة، وأثناء تلك الزيارة كانت تبدو له مشغولة اكثر من أي وقت آخر.

جلست بقربه وهي تقول: «لقد ساعدتني الطبيبة على ان أرى أشياء كثيرة بوضوح تام، اننا نحن الثلاثة نشترك بنفس نقطة الضعف هذه، وهي رغبتنا في ان نكون مقبولين من الآخرين، وهذا هو السبب في انغماسنا نحن الثلاثة في اعمال الخير، ولكن هذا لا يشكل بديلاً للدفع الدائم، لعلاقة حب مع الشخص المناسب..»

لم يقل ماتيو شيئاً، وبعد برهة عادت هي تقول: «انا وسوزان نريدك ان ترى شيئاً آخر..» «وما هو؟»

«منذ ثلاثة أشهر، تعرفت إلى أليس هنتلي، هل تتذكرها؟»

«نعم..» وكانت هذه ثالث زوجات والده، أم لعلها الرابعة؟ «من الغريب انني وأليس قد اصبحنا صديقتين، اننا نتناول الغداء معاً مرة في الشهر، لقد اخبرتني بأنها تركت أبي لأنه كان دوماً يحاول فرض رقابة على كل ما تقوم به، من قابلت، من أين اشترت حاجياتها... أشياء صغيرة ما كان ينبغي ان يكون لها أهمية، ورغم انه كان يظهر نفسه وكأنه زوج مثالي، إلا انه كما تقول أليس، كان لديه هاجس التحكم في كل شيء وكل شخص في حياته. قالت ان كل معاطف القراء والمجوهرات في العالم لم تكن تستحق شيئاً مادام هو يعتبرها دمية يحركها المفتاح..»

فقال ماتيو عابساً: «اتريدين ان تقولي ان أبي هو الذي كان يجعل النساء تهرب منه؟»

فأومات قائلة: «نعم، تماماً كما جعلنا نهرب منه..»

عندما اخذ ماتيو يساعد صهره في الشواء، اخذ يفكر في ما اخبرته به باتريشيا، كان ذلك اكثر من ان يستقر فيه على رأي في الحال.

بعد العشاء، التفت ماتيو إلى مارغريت قائلاً: «فلنذهب لنتمشى..»

نظرت حولها مجفلة، من غير الممكن ان يذهبها حال انتهاء العشاء، فقد كانت باتريشيا تتحدث عن الأزياء

التنكرية مع صهرها، وكانت سوزان تقول لطفقتها بأن لديها خمسة عشر دقيقة قبل ان تذهب إلى النوم.

نهض ماتيو قائلاً: «ان الآخرين لن يفقدونا، انني سأخذ مارغريت لأريها الأنحاء حول البيت، وشكراً للعشاء.» فشكرتهم مارغريت بدورها وقد تملكها الإرتباك.

من جانب منزل سوزان، كان هناك ممر ينحدر نحو الشاطئ. وفي منتصف هذا الممر كانت مقاعد خشبية عليها وسائل.

أخذت مارغريت تحديق في البحر. التفتت ترى انوار لوس انجلس منتشرة إلى ما لا نهاية، وقالت: «يا له من مكان رائع الجمال.»

«نعم، انه كذلك فعلاً.» وإذ فوجئت بلهجته الخشنة، لاذت بالصمت، لقد كانت لاحظت التوتر في صوته وذلك عندما مدحت لسوزان بيتها، ما هو الخطأ في إطراء شيء رائع الجمال؟

قالت وقد تملكها الغضب: «كان من الخطأ ان تحضرني إلى هنا، يا ماتيو.»

«ماذا تقصدين؟» وبدا في صوته الإستهياء البالغ. «اشعر وكأنني سمكة اخذت من حوضها الصغير الآمن وألقيت في البحر، فقد أدركت هنا ان لا شيء مشتركاً بيننا، انني اعرف الآن ما هو ذلك الشيء الخفي الذي يفصل بيننا، انه الفرق في نشأتنا وطبقتنا الإجتماعية.»

فقال بخشونة: «هذا ليس صحيحاً، بل هو خوفي من انني قد أخيب ظنك، وانني قد لا اكون صالحاً للزواج، وان السأم قد يملكك مني فتهجريني.»

فقالت بغضب: «انك تبقي نكرياتك حية بتغذيتها بمخاوفك هذه. انك تظن كل امرأة تماثل النساء اللاتي تزوجهن والدك، وهو أنه لا يمكن ان تحبك امرأة لذاتك، هل ستدع ما حدث لأبيك يسيطر على بقية حياتك؟» فحدق اليها قائلاً: «ماذا تعنين؟»

«ان لديك حلاً لمشاكل كل شخص، فلماذا لا تبحث في النكريات، ولكنني لا أراهما يتصرفان مثلك، لقد كنت اخبرتنني مرة ان كلاً منا يحبس نفسه في قفص، وان بدوين قد حررك من قفصك. لقد قام بذلك فعلاً وإنما جزئياً ولم يكمل، فأنت فقط الذي بإمكانك تحرير نفسك، يا ماتيو.»

لم يقل شيئاً، واخذت تحديق في المياه وقد اغرورقت عينها بالدموع، ثم تتابع قائلة: «مهما كان ما تملكه من أموال واملاك، يا ماتيو، فستبقى فقيراً على الدوام إلا إذا فتحت قلبك للحب، وأرجو ان تتغلب على مخاوفك، يوماً ما، فتثق بامرأة إلى حد يجعلك تشاركها في حياتك.»

استدارت مارغريت صاعدة الطريق نحو المنزل وشعرت بماتيو خلفها فلم تلتفت إليه. ذلك انها إذا قالت أي شيء الآن فلن تستطيع ان تسيطر بعد ذلك على مشاعرها، وتبعها هو إلى منزل باتريشيا حيث فتح لها الباب ثم عاد أدراجه دون ان ينطق بكلمة.

صعدت مارغريت رأساً إلى غرفتها، إذ شعرت بأن ليس بإمكانها مواجهة احد الآن، أحست وكأنها فقدت لتوها شيئاً يعني لها الكثير، وتملكها السرور لكل ما قالت، ان على ماتيو ان يواجه ماضيه، ليس عليه إلا ان يفتح قفصه ويحرر نفسه.

أخذ ماتيو يحدق إلى حركة المد وهي تتدافع وذلك من حيث كان يجلس على الصخرة، كانت المياه تلتف وتدور تماثل في ذلك تدفق أفكاره وهي تعيده إلى الماضي، التقط حجراً ألقاه بعيداً بقدر إمكانه في الماء، وسرعان ما ضاع كما تضيع جهوده في تحرير ذاكرته.

إن مارغريت على حق، فإن عليه أن يحرر نفسه، ولكنه لم يكن يعرف كيف، ففي كل مرة يعود فيها إلى البيت، تسحقه الذكريات، بعضها يشبه تلك التي لدى مارغريت من كل ما علق بها من شوائب، والبعض الآخر قد تأصلت جذوره في كيانه إلى حد لم يعد يستطيع معه أن يتخلص منه.

في وقت متأخر من مساء اليوم التالي قرع ماتيو باب منزل باتريشيا، مد أصابعه يوسع من ياقة زيه التنكري، وكان المعطف القرمزي اللون الذي يرتديه يموج خلفه، كما كان الاكليل على رأسه منحرفاً إلى جانب، كان يشعر بأنه غبي حقاً، فهذه الملابس التنكيرية للأطفال فقط.

فتحت له باتريشيا الباب، وبهتت ابتسامتها قليلاً وهي ترى الضيق على وجهه.

«أدخل، انهم جميعاً هنا.»

وخفف عن ماتيو قليلاً منظر صهره بيت في ملابس وصيف، انه على الأقل لن يتألم وحده، وبعد أن تبادل معه ابتسامة تعاطف، نظر إلى شقيقته، كانت سوزان ترتدي زي خادمة خان ريفية، أما باتريشيا فكانت في زي محامية كانت دافعت لأثبات براءة زوجها وذلك في إحدى مسرحيات شكسبير.

سألهم ماتيو: «أين مارغريت؟»

قالت باتريشيا: «ستحضر مارغريت حالاً. انتظر حتى ترى الزي الذي صنعته.»

سمعوا صوت الباب يفتح ثم خطوات مارغريت، ثم وقفت عند العتبة ونظراتها متجهة إليه.

أخذ ماتيو يحدق بها، كانت ترتدي ثوباً من قماش ناعم شفاف كان يهفهف حولها بما يشبه الحلم، وقد انعقد فوق كتفها، بينما انسدل الثوب نحو الأرض بشكل مستقيم، كما إن حذاءها كان مغطى بنفس قماش الثوب.

نكره لون الثوب الأخضر الرائع بأوراق الشجر في الربيع وعندما تحركت لاحظ القميص الداخلي الطويل الذي ترتديه تحت الشيفون الأخضر، وكان شعرها النيرانى ينسدل على ظهرها، وعلى رأسها اكليل من التوت البري القرمزي اللون كامن بين ورق الشجر الداكنة الخضرة، بادلته ابتسامته، ولكن النظرة الفاترة في عينيها لم تتغير.

أعلنت سوزان قائلة: «إنها العروس تيتانيا. إن مارغريت ستكون عروس الحفلة الليلة.»

قالت باتريشيا: «تبدين رائعة تماماً.»

وتبعهم ماتيو صامتاً إلى حيث سيارة الليموزين التي ستأخذهم إلى الحفلة، رأى في استقامة قوامها وميل عنقها ثقة بالنفس لم يرها فيها من قبل، وكذلك في طريقة تحركاتها.

شعرت هي برضى بالغ عن نفسها وهي تصعد إلى الليموزين، لقد نسيت كل تعبها في خياطة ثوبها وهي ترى نظرات ماتيو المبهورة اليها، لم تكن تريد أن تتشاجر معه

بالنسبة إلى الزواج، ولكنها تريد أن تصحح رأيه في النساء. أخذت مارغريت تتفرج على الجموع في الحفلة بينما الموسيقى تشنف الأذان، ثم جلست مع سوزان وزوجها وزوجين آخرين إلى إحدى الموائد وهي تتأمل مختلف الأزياء التنكرية التي كانت تمر من امامها.

عرفتها باتريشيا إلى سيل من الأشخاص ذاكرة لهم ان مارغريت تعلم الأولاد المعاقين في معهد، ودهشت إذ اهتم كثيرون منهم بمعرفة المزيد عن معهد إدواردز. وأخذت تجيب بصبر على أسئلتهم، جلست مع مخرج افلام وموسيقي، ورجل قال لها ان بإمكانه ان يشتري ناطحة سحاب امباير ستيت لو انها عرضت للبيع، كانت عبارات الإطراء تنهال عليها لجمال ثوبها ووجهها وقوامها، وأخيراً هربت مارغريت من كل هذه الوجوه الجديدة، قائلة بأن قدميها تؤلمانها.

لقد تملكها الدهشة وهي تسمع سوزان تقول: «كلما ذهبنا إلى إحدى هذه المناسبات نقول لأنفسنا، هذه آخر مرة، ولكن سيكون الأمر صعباً بالنسبة إلى باتريشيا لو اننا لا نحضر لمساعدتها، فهي تقوم بمعظم العمل. اما بالنسبة إلى ماتيو، فحضوره إلى الحفلة هو اكثر من عجيب.»

أدهشت هذه الملاحظة مارغريت، فقد كانت تظن ماتيو لا يظهر ممانعة في حضور حفلة كهذه. «انه يكره ما يسميه عبثاً فارغاً، قائلاً ان الناس يأتون لمجرد عرض المجوهرات وآخر الأزياء، ثم يغتابون الآخرين، وبعد ذلك يعودون إلى بيوتهم وقد ملاًهم الاستياء لأنهم رأوا في الحفلة من لديه أشياء أغلى مما لديهم هم.»

بعد قليل جاء ماتيو إلى حيث تجلس: «هل تمانعين إذا انا جلست معك؟»
«كلا طبعاً.»

وحدثت نفسها بأنها لن تضيع وقتها في التساؤل عما يدفع ماتيو إلى الجلوس معها بينما بإمكانه ان يكون الآن بصحبة واحدة من جميلات الحفلة الرائعات، وأدارت وجهها لتجيب على شيء قاله بيت، محاولة ان تركز ذهنها على ما يقول، فقد جعل جلوس ماتيو بجانبها قلبها يخفق بعنف وصوت عالٍ لم تكذ تسمع معه ما يقوله بيت.

كان ماتيو قد راقب مارغريت وهي تجلس إلى الضيوف ورأى التهذيب الذي كان يكسو ملامحها وهي تتحدث إلى الرجال منهم، ونظرة (إلزم مكانك) التي كانت ترمقهم بها. نظر ماتيو حوله، ثم قرر ان هذا يكفي، فانحنى يهمس في أذن مارغريت: «أتريدين ان نترك الحفلة الآن؟»

التفت إليه مدهوشة: «ألا تظن باتريشيا ان الأمر غريب إذا نحن تسللنا خارجين؟»
«انها ستتفهم الأمر.»

عندما وقفت بهما السيارة امام باب منزل باتريشيا، التفتت ماتيو إلى مارغريت قائلاً: «مارغريت، أريد ان اتحدث اليك.»

فنظرت اليه وهزت رأسها: «ليس الآن، يا ماتيو. إنني متعبة جداً.» وكان صوتها حزيناً ولكنه حازم.
سواء تمكنت من إثبات شخصيتها معنوياً، امام ماتيو أم لا، فلا شيء يمكن ان يردم الهوة التي تفصل بين عالمه وعالمها.

لم تشأ ان تتحدث إليه وهي بهذا المزاج لأنها ان هي فعلت، فقد يصل بها حبها اليأس إلى حد إذلال نفسها له. تردد لحظة ثم قال: «تصبحين على خير، يا مارغريت.» «تصبح على خير، يا ماتيو.» ولكن هذه الليلة لن يكون فيها أي خير.

وكانت رحلة العودة في الصباح التالي، هادئة بشكل غريب، بدا ماتيو مستغرقاً في أفكاره، بينما كانت مارغريت تفكر في ما ستكون عليه حياتها، لا شيء كانت فعلته أو قالته لقي اهتماماً من ماتيو وهكذا كان عليها ان تقر بالهزيمة، وكلما أسرع في التعود على حقيقة أن ليس ثمة مستقبل يجمعهما معاً، كان ذلك أفضل.

كانت الرحلة إلى يوزميت سارة ودون احداث، وكانت مارغريت تتمشى في الشارع الذي تحف به الأشجار الحمراء الورق، يومياً، وقد اشتد بها الشوق إلى ماتيو، وكانت تعيد التفكير مرة بعد مرة في كل ما حدث بينهما منذ تعارفا لأول مرة.

ومع انها كانت قررت ان توطن نفسها على حقيقة ان ماتيو لم يحبها، فإن جزءاً منها رفض الاستسلام، وكانت النظرة السعيدة المنتعشة في عيني العمة ماري قد جعلت مارغريت تشعر بأن الرحلة هذه كانت ناجحة. ولكنها هي كانت تتمنى لو انها في إنشواتر مع ماتيو.

بدت رحلة العودة والتي تستغرق أربع ساعات وذلك في السيارة التي كانت استأجرتها مارغريت للرحلة، بدت

وكانها دون نهاية، وعندما وقفت السيارة امام البيت، التفتت مارغريت إلى عمته: «سأعود بعد فترة قصيرة. فأنا أريد ان أرى جينا وابنتها ميكي.»

سألتهام عمتهما بدهشة: «الست متعبة؟»

اومأت مارغريت برأسها نقياً: «كلا، وسأعود بعد فترة قصيرة.»

اعجبت جينا جداً بالوشاح الحريري الذي احضرته لها مارغريت هدية، وظلت تتلمس قماشه الحريري الناعم وهي تقول: «يا لروعة، سأحتفظ به دوماً.»

قالت مارغريت والتي كانت مشغولة بتأمل الطفلة: «انني مسرورة لأنه اعجبك، كيف حال جاك؟»

بدت السعادة على جينا: «لقد عاد كل شيء بيننا كما كان، لقد اصرت جانيت على جاك في ان يخبرها عما حدث، فقال انه منذ اصبح أباً اخذ يشعر بأن عليه ان يزود ابنته بأحسن الأشياء، وهكذا اخذ يشتغل ساعات طويلة. فقالت له جانيت ان من الأفضل ان يتحدث إلي عن شعوره هذا.»

«وماذا كانت النتيجة؟»

«ذكرت للدكتور ريدي ما قاله جاك فقال انه يحدث كثيراً ان يشعر بذلك من يصبح أباً لأول مرة، وقد تحدث إلي وإلى جاك قائلاً: «انه بينما بعض الآباء يتصرفون مثل جاك، هناك إباء آخرون يختلفون لأن ليس بإمكانهم تحمل المسؤولية، قال ان علينا ان نتحدث مع بعضنا البعض كثيراً وإذا احتجنا إلى عون، فعلينا اللجوء إلى مستشار ينصحننا.»

عادت مارغريت تقول: «وماذا حدث بعد ذلك؟»

«لقد تعبت قليلاً في اقناع جاك بأن ميكي لن تهتم فيما لو لم تكن ملابسها على الطراز الحديث، فالأكثر أهمية بالنسبة إليها ان ترى والدها كثيراً أثناء نموها، وقد وضعنا ميزانية فإذا لم تنجح فسأعود للعمل في المطعم بنصف دوام.»

قالت مارغريت: «ان طريقة تدبر الأمور هي التي تجعل الحياة مختلفة، في الواقع.»

اجابت جينا: «نعم، بالإضافة إلى دوام الغزل بين الزوجين. لقد ذكرت جانيت جاك بأن كلمة أحبك لا تكلف الرجل شيئاً، ومع ذلك بعض الرجال لا يفكرون أبداً بالنطق بهذه الكلمة.»

فابتسمت مارغريت وهي تتذكر مناقشتها مع ماتيو في الحديقة، بهذا الشأن، لا بد ان هذا شيء على كل الرجال ان يتعلموه.

سألته جينا: «هل لك بتناول العشاء معنا هذه الليلة؟ حيث ان جاك الآن يعمل بين لوس انجلس وإنشواتر، فهو هنا الساعة الخامسة كل مساء، ومنذ رحيل ماتيو لم نعد نرى أحداً، ما عدا تيمي، هذا الفتى يبدو في غاية السعادة هذه الأيام.»

لم تستطع مارغريت إخفاء الذعر في صوتها وهي تسألها: «وهل رحل ماتيو؟»

«آه، ألم يخبرك برحيله؟»

فاشتعل الغضب في نفس مارغريت، هذا إذن ما يقوم به الرجال الأقوياء أمثال ماتيو عندما تتعسر الأمور. انهم يهربون. من السهل عليه جداً ان يحل مشاكل الناس، بينما تستعصي عليه مشاكله هو، حسناً انها لن تدعه يهرب.

وسألته: «في أي ساعة يغادر جاك إلى لوس انجلس في الصباح؟» لم تعرف متى تكونت في ذهنها فكرة اللحاق بماتيو لتحديثه عن شعورها، كل ما تعرفه ان هذه الفكرة موجودة وعليها ان تتصرف. لقد كانت مخطئة إذ ظنت ان لا شيء يمكن ان يعبر الهوة بين عالميهما، هي وماتيو، ان الحب يمكن ان يعبر أي هوة إذا ما منح الفرصة.

أجابت جينا: «الساعة السابعة، لماذا؟»

«اخبريه بأنني ذاهبة معه غداً، لا يمكنني البقاء الآن، يا جينا. ان لدي أشياء ينبغي ان اقوم بها في البيت.»

بعد ذلك بدقائق، كانت تضع على وجهها دقيق الشوفان مخفوقاً فيه أربع بيضات وبعض الخل، ثم وضعت نفس المزيج على شعرها. انها تريد ان تبدو جميلة وهي تعنف ماتيو، ثم لغت رأسها بمنشفة، لتخرج من خزانة ثيابها كل ما لديها، انها فتاة قديمة الطراز حقاً، ولكن ليس إلى الحد الذي يجعلها تتقبل قراره هذا باستسلام.

جاء تيمي إلى بابها بعد ذلك بقليل، فألقى نظرة واحدة على ثيابها المكومة على السرير، ثم انسحب بهدوء عائداً إلى غرفته، فهو لا يعتقد ان مارغريت ستقبل بالذهاب معه إلى غاريسون لحضور فيلم هذه الليلة، ذلك ان في ذهنها شيئاً ما. تابع جاك نظرات جينا إلى تلك المرأة التي كانت تقترب منهما، مرتدية طقمأ أبيض وحذاء عالي الكعب، وبدت مارغريت وكأنها خرجت لتوها من غلاف محلة الأزياء التي تحب زوجته قراءتها.

صعد جاك إلى شاحنته، وسمع جينا تقول شيئاً لمارغريت وهي تضحك.

حذق جاك إلى مارغريت وهي تصعد إلى الشاحنة، لم يرها قط من قبل بمثل هذا الجمال، أو الرزانة.

«صباح الخير يا مارغريت.»

«كيف حالك، يا جاك؟ هل لك من فضلك ان تنزلني عند بيت السيد ماغنوم في لوس انجلس؟ ان بيني وبينه عملاً لم ينته بعد.»

«نعم، يا سيدتي.»

وقفت جينا عند الباب وطفلتها على ذراعها وهي تلوح لهما بيدها وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة واسعة.

التفتت مارغريت إلى جاك، الآن وبعد ان اصبحا في الطريق، شعرت ببعض شجاعتها تتسرب منها، أترى مطاردة ماتيو فكرة جيدة؟

وشعر جاك بتغير مزاج مارغريت من الثقة بالنفس إلى التوتر، فمال إلى الأمام وأدار زر الإذاعة المحلية، قد يرفه عنها بعض الحديث الفكه بين السائقين.

أخذت مارغريت تستمع إلى اصوات ترددها أمواج الأثير، إلى ان سمعت صوتاً مألوفاً لديها يقول: «هنا الذئب الوحيد. متجهاً إلى لوس انجلس. هل يعلم احد ما إذا كانت المدينة ما تزال في مكانها؟»

«هنا الراقص. يا الذئب الوحيد. وأنا أيضاً في طريقي إلى لوس انجلس، ماذا تعني بقولك (هل المدينة ما تزال في مكانها) يا زميل؟»

«حسناً، يا الراقص، انك تعلم ان الجميع يتوقعون زلزالاً سيضرب تلك المدينة الكبيرة، يوماً ما. وسؤالي عما إذا كانت ما تزال هناك ما هو إلا مزحتي الصغيرة.»

أمسك جاك بالسماعة وقال: «هنا الأب الفخور. يا الذئب الوحيد. لقد كنت أمس في لوس انجلس، وهي مازالت مكانها.»

«كيف حال طفلك يا «الأب الفخور»؟» وكان هذا السؤال من «الذئب الوحيد». وأجاب جاك: «بأحسن حال، وبالمناسبة معي اليوم ضيفة.»

ناولها جاك السماعة، فقالت مترددة: «هنا الوردة الحمراء، صباح الخير للجميع.»

«هنا الذئب الوحيد يا الوردة الحمراء. هل عثرتما على الخليج الصغير بسهولة، في ذلك اليوم؟»

«نعم، شكراً، انه مكان رائع الجمال.»

«أين رجلك ذاك * اذا كان اسمه، بدوين الثاني؟»

فقالت مارغريت: «انه في لوس انجلس.»

سألها: «انت إذن ذاهبة لزيارته، أليس كذلك؟»

ترددت مارغريت ثم قالت: «ليس تماماً.»

«هنا الراقص يا الوردة الحمراء، هل ذكرت لتوك بدوين الثاني؟»

فأجابت: «نعم.»

«حسناً، لقد سمعته منذ فترة يتحدث إلى سائق آخر اسمه

الدب المرقط.»

حدقت مارغريت إلى جاك، أين يا ترى ماتيو ذاهب؟ اخذ جاك السماعة من يدها وقال: «هل انت واثق يا

الراقص مما تقول؟ هنا الأب الفخور.»

فجاءه الجواب السريع: «واثق تماماً.»

لا بد انه ذاهب في تلك الرحلات الطويلة التي يحبها،

وأدركت مارغريت ان ليس بإمكانها ان تتحدث إليه بعد ذلك، إلا اذا فعلت ذلك الآن. والتفتت إلى جاك قائلة: «انتظن يا جاك ان بإمكاننا التحدث إليه الآن بواسطة هذه الإذاعة؟»

فقال: «سأحاول اين انت يا بدوين الثاني. هيا تكلم، هنا الأب الفخور.»

أخذ جاك يكرر النداء كل خمس دقائق، وبعد المحاولة الثالثة جاءه الجواب: «هنا بدوين الثاني، تكلم يا الأب الفخور.»

ناول جاك مارغريت السماعة، فقال بسرعة وهي تأخذها منه: «ماتيو، انا مارغريت.»

مرت لحظات من الصمت التام، ثم قال ماتيو: «مارغريت، ما الذي تفعلينه في شاحنة جاك؟»

«انني في طريقي إلى لوس انجلس لأراك.»
«لماذا، يا مارغريت؟»

ابتلعت ريقها ونظرت إلى السماعة بذعر، منذ أمس وهي تتصور مختلف المشاهد تجمعها مع ماتيو في مكتبه، في سيارته، في بيته. ولكنها لم تتصور قط انها ستجتمع به على أمواج الأثير بهذا الشكل.

عاد ماتيو يسأل: «مارغريت، هل تسمعينني؟»
«نعم، يا ماتيو، كان عليّ ان اراك. لدي شيء أريد ان اقوله لك على انفراد.»

«وما هو، يا مارغريت؟»
كان صوته يبتعد، وتملك مارغريت الذعر من ان يكون قد أصبح بعيداً عن مدى السماع وبالتالي بعيداً عن حياتها.

وبسرعة وقبل ان تعي تماماً ما ستنتطق به قالت: «ماتيو، هل تتزوجني؟»

اجفل جاك بجانبها، وساد سكون حاد في الجو، وشعرت مارغريت بوجنتيها تلتهبان عندما لم يجب ماتيو. إذا كان ثمة ما هو أسوأ من ان يجعل الشخص من نفسه اضحوكة في السر، فهو ان يكون ذلك في العلن، ما الذي كان ماتيو قاله عن هذه الإذاعة؟ قال انه قد يكون هناك مائة شخص يستمعون في وقت واحد؟

اخترق الجو صوت امرأة يقول: «مايبل تنادي عاشق النجوم. هل تسمعني يا عاشق النجوم؟»

«هنا الذئب الوحيد يا مايبل، ابقني بعيدة عن الأثير، يا مايبل، فهنا سيدة تعرض الزواج.»

مر صمت آخر، ثم عادت مايبل تقول: «عرض زواج؟ لا اظنها تعرضه عليك، يا الذئب الوحيد أليس كذلك؟ انه إذن سبب وجيه للمقاطعة إذ انقذ إحدى بنات جنسي من مصير أسوأ من الموت.» وتبع ذلك ضحكة عالية.

فصرخ الراقص: «هذا يكفي، أي شخص يتحدث في غير دوره، عليه ان ينتظر محاسبة مني في موقف الشاحنات التالي، تابعي كلامك يا الوردة الحمراء.»

غصت مارغريت بريقها ثم قالت: «استمع إليّ يا ماتيو. لا يهمني إذا كنت تريد ان تسوق شاحنة، أو تذهب إلى آخر الدنيا، إنني لا اريد سوى ان أمضي معك بقية حياتي، وبأي شكل.»

فسأل الراقص بصوت عالٍ: «وماذا يطلب الرجل اكثر من هذا؟»

قالت مايبل: «اقفل فمك يا الراقص، إذا لم تلتزم بالنظام فعليك ان تقدم لي حساباً عن ذلك في الموقف التالي.»

فقال الذئب الوحيد: «نعم إبقى بعيداً عن هذا، كل واحد يمكنه ان يرى ان هذا الحديث خاص وينبغي ان يكون على انفراد.»

هز جاك إبهامه من النافذة. ونظرت مارغريت إلى الخارج من نافذتها، ثم غصت بريقها. كانت خلفهما صف طويل من الشاحنات، وكذلك صف آخر مزدحم في الشارع الجانبي، كان الإنفراد مستحيلاً، فقد بدا وكأن كل شخص أراد ان يحصل على مقعد في هذا العرض.

سألها ماتيو: «مارغريت، أين تظنينني كنت ذاهباً؟»

فأجابت: «ظننتك ذاهباً في إحدى رحلاتك الطويلة.»

«انني عائد إليك، يا مارغريت، لكي أقوم بمحاولة أخرى

لجعلك تستمعين إلي.»

«أحقاً؟ ولكن لماذا رحلت أولاً؟»

تدخل الراقص قائلاً: «نعم، لماذا رحلت؟»

فتجاهل ماتيو قول الراقص هذا، وتابع يقول: «مارغريت انني اعرف ان الزواج ليس مجرد رخصة زواج والتي لا تفعل سوى ان تمنح زوجين أساساً بينيان عليه بقية حياتهما، كنت أريد ان اخبرك في ليلة الحفلة بأنني احبك وأثق بك، وأنني كنت مغفلاً للغاية، ولكنك لم تقبلي بالتحدث إلي، وفيما بعد ظننت انك قد تكونين غيرت رأيك بالنسبة إلي، أدركت ان بعض من تعرفت اليهم لم يعجبوك، فظننت انك ربما قررت ان لا يكون لك صلة بي،

ولكن حالما وصلت إلى لوس انجلس، أدركت انني سأكون اكبر أحقق في العالم إذا انا تركتك تذهبين دون ان تعرفي مشاعري نحوك. إذا قبلت بي، فسأحاول جهدي ان احقق لك كل احلامك، انني احبك يا مارغريت.»

غالبت مارغريت دموعها عندما ارتفعت الهتافات عالية في الإذاعة. قالت مايبل: «كم هذا شاعري.»

قال ماتيو: «جارك، ان الإستراحة القادمة هي على بعد نصف ميل من هنا. قف هناك، فأنا خلفك مباشرة.»

وقال الراقص مهدداً: «حذار من ان يقف احد بجانب ظيري الحب، تهاني اليكما.»

تشابكت بقية الأصوات بالتهانيء بينما كان جاك يقف عند الإستراحة، ووقف خط طويل من الشاحنات بعيداً وأخذ السائقون يهتفون ويلوحون بأيديهم عندما نزلت مارغريت من الشاحنة، وبعدها بخمس دقائق وصل ماتيو.

قفز من شاحنته فركضت مارغريت إليه: «لا استطيع ان اصدق انني عرضت عليك الزواج على أمواج الأثير.»

فقال باسماء: «ولا انا استطيع تصديق ذلك يا حبيبتي الرجعية القديمة الطراز. وانا آسف لأنني رحلت عنك وتركتك لكل هذه المعاناة، ولكنني كنت اعلم انك تستحقين رجلاً افضل من ذلك الذي لم يستطع ان يحرر نفسه من الماضي.»

«لا اريد اعتذارات، ان صدقك ونزاهتك والشعور مع الآخرين، كل هذا جعلني احبك، ان ماضينا هو جزء منا،

وطالما يتدخل مع حاضرننا فأمره يجب ان لا يهمنا.»

«لقد احببتك دوماً، يا مارغريت، دوماً.»

قالت: «آه، ولكن عند بحيرة ميد...»

فقاطعتها: «كنت في غاية الحماسة، كنت أبحث عن نوع من الضمان، فتجارب أبي كانت تخيفني، لقد جعلتني باتريشيا اعتبر ان ذكرياتنا يجب ان تدفن، وانني بقيت سنوات أعيش مع مفاهيم خاطئة عن الأشياء، وعندما عرفتك يا مارغريت، اقتنعت بأن عليّ ان أدع الماضي لشأنه واركنز على حاضرنا.»

«انني مسرورة لذلك، ولكن حتى ولو عاد الماضي إلى ذهنك، فأنا أريد ان اساعدك في مواجهة ذلك.»

فقال: «انني لن ابعذك عن نفسي أبداً بعد الآن، يا مارغريت، اين تريد ان نمضي شهر عسلنا؟ في أوروبا؟ في الشرق؟ أستراليا؟»

بدا عليها السهوم لحظة، ثم قالت برقة فائقة: «لا أريد أيأ من أولئك الأمكنة. انني اريد شهر عسل في الشاحنة.»

فهمت مستغرباً: «ماذا؟»

قالت وقد كسا ملامحها مزيج من الحب والخجل: «انك سمعتني، انني اريدك لنفسك، لا اريد اناساً حولنا.»

تألقت عينا ماتيو: «لو لم اعد عمك جانيت ببهجة اعداد ترتيبات الزفاف بنفسها، لذهبنا رأساً إلى لاس فيغاس وتزوجنا هذه الليلة.»

فقالت: «هل كانت عمتي مشتركة بكل هذا، هي أيضاً؟ لا تقلق، فهي ستسرع في إجراء الترتيبات وسترى، هذا إلى انني اريد ان أرى في عرسنا أولئك الذين نحبهم، تيمي شقيقتك، صهرك بيت والصغيرة ميليسيا آن، جو، جاك وجانيت وكل الآخرين.»

«ان باتريشيا وسوزان ستساعدان عمك. واعلمي ان قائمة الضيوف تتضمن كل قائد شاحنة سيكون قريباً من إنشواتر في يوم الزفاف.»

وإذ تذكرت مارغريت سيل الهدايا الذي انهال يوم ولادة ميكي، قالت: «يمكنهم ان يحضروا جميعاً، ولكن دون هدايا، بدلاً من ذلك، أي شخص يريد ان يقدم تبرعاً إلى معهد إدواردز فمرحباً بعمله هذا.»

سألها ماتيو: «هل فكرت أين تريدين ان تعيشي؟»

فأجابت: «حيثما تكون أنت. ولكن عليّ ان اعود إلى واشنطن إلى ان يجد الدكتور إدواردز بديلاً لي، فأنا لا استطيع ان اتخلي عنه.»

فقال: «هذا طبيعي، يمكننا ان نستأجر شقة هناك وبإمكانني ان اسافر يومياً، عند الحاجة، إلى لوس انجلس وإنشواتر، وبعد ذلك أريد ان اجعل من إنشواتر موطننا الدائم، فهو مكان رائع يتربى فيه الأطفال. هذا قرار علينا ان نصنعه معاً، بطبيعة الحال.»

فسألته بذهن غائب: «أي قرار؟»

فقال متردداً: «بالنسبة لإنجاب الاطفال، هل تريدين اطفالاً؟»

«طبعاً، لا استطيع ان اتعهد بأن اكون امرأة مثالية في غرفة الولادة، ولكنني لا استطيع ان اتصور حياة دون أولاد.»

«حالما نصل إلى إنشواتر، ستبدأ جانيت في إجراء ترتيبات الزفاف.»

«حسناً، فلنعد ونخبر كل شخص بما حدث، هذا إذا كان

لم يسبق لهم معرفة ذلك من سائق آخر. ويهرع الجميع
لمساعدة عمتي جانيت.»

لقد امتدت امامهما طريق الحياة. كانت مارغريت تعلم انه
سيكون فيه صعود كما سيكون هبوط، ولكن مع وجود ماتيو
بجانيتها، لم تعد خائفة، ابتسمت له وهو يسرع بها نحو
شاحنته، لقد كان استعجالها لبدء حياة زوجية مع حبيبها
الرقيق سائق الشاحنة، كان يماثل استعجاله.

تمت